الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي
تيسمسيلت

University Center El-Wancharissi of Tissemsilt - Algeria

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

دراسة كتاب

إعـــــداد:

- لعكاف بن عمر
- بريك محمد

إشــراف الأستـــاذ:

✓ بشير دردار

أعضاء لجنة المناقشة

د.	المركز الجامعي تيسمسيلت	رئـيـســـا
د.	المركز الجامعي تيسمسيلت	عضوا مناقشا
د. بشير دردار	المركز الجامعي تيسمسيلت	مشرفا ومقررا

السَّنة الجامعية: 1438/1437هـ - - 2017/2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مقدّمة

بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم والحمد للّه رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين أجمعين، وعلى آله وصحبه ممن اهتدوا بهديه فنالوا سعادة الدَّارين.

تتعدَّد الدِّراسات الأدبية والنَّقدية العربية وتختلف من عصر لآخر، لكثرة المشارب واختلاف المناهل ولا سيَّما ما يشهده عصرنا الرَّاهن من كثرة التَّيارات الفكرية، والنِّزاعات الإيديولوجية التّي لا يكاد يخلوا منها أي منهج ، وهذا الاختلاف ليس وليد اليوم فقط، إنَّما يعود لما مرَّ به النَّقد الأدبي من مراحل كثيرة عبر العصور، اختلفت فيه قراءات النُّقاد لاختلاف أزمنتهم ومرجعياتهم الفكرية والثَّقافية، وقد بدأت هذه القراءات بسيطة عفوية، تتكئ على ذوق النَّاقد وأهوائه، وترصد استجابات متباينة في خطاب تصوري ارتجالي، يصدر فور تلقيه للنَّص وإحساسه المباشر بمعناه، وبعدها انتقلت إلى مرحلة متقدّمة أين تمَّ تحديد مقاييس ومعايير نقدية لغوية وأخلاقية، ثمَّ انتهت إلى نقد منهجي تشكَّلت معالمه مع مرحلة التَّدوين التّي تشعَّبت فيها المباحث وتوسعت في استنباط الأحكام، أمَّا حديثًا فقد عرف النَّقد الأدبي تنوُّعًا واختلافًا كثيرًا، بعد تأثره بالنَّقد الغربي الذي بسط أمامه مجموعة من المناهج المتأثِّرة في أسسها وطروحاتها بالنَّظريات العلمية، كنظريات "فرويد" في علم النَّفس، أو نظرية "داروين" للتّطور، وغيرها من النَّظريات، حيث جعلت جلَّ النُّقاد يتفاعلون معها في الإجابة على عديد الأسئلة التّي يطرحها الأدب، فتباينت إجراءاته وأدواته العلمية، حيث تناولت كلّ منها زوايا من جوانب برؤى متعدّدة ومتباينة.

وقد كان "إحسان عبَّاس" من أبرز المتفاعلين مع هذه النَّظريات والمناهج الحديثة، ويتجلَّى ذلك من خلال أطروحاته المتعدّدة وكتبه المتميِّزة، إذ كانت جلُّ قراءاته تتميَّز بالقراءة النَّقدية الشَّاملة والمتأثِّرة بمناهج النَّقد الغربي، حيث بدأ اهتمامنا به و بآرائه النَّقدية منذ أن كنَّا نتلقَّى دروس النَّقد القديم عند أستاذنا ووالدنا الفاضل "بشير دردار" بتقديمه لتلك النَّظرات النَّقدية المتميِّزة لإحسان عبَّاس في هذا المجال، وليس مستغربًا أن يقع اختيارنا لكتابه "تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب نقد الشِّعر من القرن

الثّاني حتَّى القرن الثَّامن" بعد أن شاءت الصُّدف أن تضع الإدارة للطَّلبة حرية الاختيار في إنجاز مذكرات للتَّخرج، أو إعدادهم دراساتٍ في كتبٍ يختارونها، بعد الاتفاق مع الأستاذ المشرف، مع العلم أنَّ هذا الكتاب يعدُّ من أهمّ الكتب المعوَّل عليها في تخصص الدِّراسات النَّقدية والأدبية القديمة والذي نحن من طلّابه، وعلى هذا كان اختيارنا لهذا الرَّجل ومنجزه هذا بالذَّات.

وللقاء "إحسان عبَّاس" والتَّعرف على مكنونات منجزه النَّقدي، لم يبق أمامنا غير طريقٍ واحد صعب المرتقى،كثير المزالق والمتاهات، ظنّي النَّتائج والدَّلالة، وما إلى غيره سبيل، وهو أن نتَّخذ من كتاب الرَّجل مادَّة لتصوُّره، ومن أفكاره مجهراً لتبيُّنه، ومن منهجه دليلاً على خطاه وبشيءٍ من التَّأمّل والاستنباط والمقارنة والاختصار نقيم للرَّجل حياةً وسيرةً وفكراً وتاريخاً، إن لم تكن كلّ ما يرجى فهي شمعة مضيئة على درب عمره الطَّويل، وإضاءة شمعة أكثر إسهاماً في توضيح جوانبَ من فكره من لعن الظَّلام والاستسلام لواقع الحال، حيث كان قصدنا من دراسة هذا المنجز الكشف عن مدى أصالة تراثنا العربي، وإبراز مكانته في هذا الزَّخم المعرفي الهائل الذي تعيشه الدِّراسات الأدبية والنَّقدية العربية، وطغيان الفكر الأوروبي عليها، ورغبة منَّا في الكشف عن أهمِّ المحطَّات التّي مرَّ بها النَّقد الأدبي عند العرب منذ نشأته حتَّى عصرنا الحاضر.

وقد فرضت علينا طبيعة الدِّراسة أن نستعين بالمنهج التَّحليلي الوصفي لدراسة القضايا النَّقدية التّي تناولها "إحسان عبَّاس" في كتابه، عبر مسار تطوُّرها في العصور المختلفة، وكيف تناول النُّقاد العرب القدامى لها، ورأي "إحسان عبَّاس" في هذه الآراء، وبطبيعة الحال كان لنا ونحن ننجز هذا البحث أن نصطدم ببعض العوائق والمتاهات، لعلَّ أبرزها هو صعوبة الحصول على كتب مستقلة تتناول التَّأريخ لتاريخ النَّقد، باستثناء بعض المقدَّمات التّي تعاطت مع هذا الموضوع، ووضَّحت الخلفيات النَّظرية التّي قام عليها هذا العلم، باعتباره علمًا لم يعرفه العرب إلَّا بعد عصر اليَّقظة العربيَّة، مثل تقديم "أحمد الشَّايب" لكتاب "طه أحمد إبراهيم" في كتابه "تاريخ النَّقد الأدبي من العصر الجاهلي إلى القرن الرَّابع" وكتاب "محمَّد زغلول سلَّام" المسمّى "تاريخ النَّقد الأ دبي والبلاغة"، ومن

جهة أخرى كثرة الكتب والدِّراسات التّي تناولت قضايا النَّقد القديم ومسائله، سواءٌ منها ما تناول قضية واحدة، أو عدَّة قضايا في عصر من العصور، أو تلك التّي تحمل في دراستها عدَّة عصور . فهذا الأمر جعلنا نواجه مادَّة علمية غزيرة متنوعة، تعالج هذه القضايا، فاحترنا من أي المناهل نغترف وأي الموارد والطُّرق نسلك. لذلك اكتفينا بأشهر هذه الكتب، وهذا ما يلاحظ في قائمة المصادر والمراجع، حيث إنَّها لا تحتوي على عددٍ كبيرٍ من المصادر والمراجع إلَّا ما كان منها شائعًا في الأوساط الأدبيَّة.

وقد انتظمت دراستنا في مقدّمة وثلاث فصول وخاتمة:

أمّا المقدّمة فقد بيَّنا فيها دوافع ومنهج هذا البحث، وغيرها من المسائل التّي تضمنها . وقد تطرَّقنا في الفصل الأوَّل إلى دراسة نشأة النَّقد الأدبي وتطوُّره، بداية من نضج الحاسة النَّقدية عند العرب، انتهاء إلى تأسيس نقد منهجي، بحثنا فيه حول الدَّلالة اللُّغوية لكلا المصطلحين (الأدب والنَّقد) وقوفًا على أصناف ومناهج الكتب التي أُلِّفت في تاريخ النَّقد.

أما الفصل الثَّاني فعنوناه بقراءة أوَّلية في كتاب "تاريخ النقد الأدبي عند العرب"لإحسان عبَّاس، تناولنا فيه حياة المؤلِّف، وثقافته، مع قراءة في عتبات الكتاب، محاولين فهم محتوياته، ومادته المعرفيَّة وتوضيح المفاهيم النَّقديَّة، والمنهج المتَّبع في الكتاب وكيفيَّة التَّحليل.

أمَّا الفصل الأخير فجعلناه دراسة تقويمية للكتاب، وهذا بناء على ما سبق، كما تطرقنا إلى أهمّ القضايا الكبرى في الكتاب مع ذكر مزايا الكتاب معرفيًا ومنهجيًا، منتهين بعد ذلك باستدراكات على الكتاب.

ثم ذيَّلنا بحثنا بخاتمة ضمت خلاصة هذا البحث، وما احتواه من آراء واجتهادات، بعد اطِّلاعنا واشتغالنا على هذا الكتاب، وأتبعناها بقائمة الكتب التّي اعتمدناها في بحثنا، حيث يمكن تقسيم هذه القائمة إلى ثلاثة أصناف: الأوَّل منها احتوى على بعض المعاجم المعتمدة، كلسان العرب والقاموس المحيط وبعض المصادر النَّقدية القديمة، كالوساطة، والموازنة . أمَّا الصِّنف الثَّاني فتضمّن المراجع النَّقدية الحديثة، وبعض الكتب المترجمة، ثم فهرس للموضوعات.

وفي الأخير نشكر كلّ من كانت له يد العون في إعداد هذا البحث وبالخصوص والدنا الأستاذ مرسي رشيد والأستاذ المشرف دردار بشير والأستاذة كريتي، الّذين لم يبخلوا علينا بنصائحهم الرَّيِّدة وتوجيهاتهم القيِّمة، وكذلك الأخ الصَّديق نور الدِّين جاعد، كما نشكر القائمين على قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها من إداريين وأساتذة، لإتاحتهم لنا فرصة البحث، وجميع أساتذة المركز الجامعي الونشريسي، وكلّ من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل.

ورحم الله من رأى في عملي نقصًا فبيَّنه، فقد جلَّ من لا يخطئ، وأنا أقرّ أنِّي اجتهدت، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشَّيطان والله وليّ التَّوفيق.

لعكـــاف بن عمر

ســـحمّد بريـــك

2017/04/17

الفصل الأول

دراسة في نشأة وتطور

تاريخ النقد الأدبي

المبحث الأوّل : نشأة تاريخ النّقد وتطوره.

للكلمات أصول وجذور- مثلها مثل الكائنات الحيَّة في تطورها- حيث يطال هذا التَّطور معانيها ودلالاتها وإيحاءاتها، ويؤدي بها عبر مسارات وانعطافات واستخدامات تجعل منها مصطلحا يغطي بدلالته قطاعًا أو حقلاً معينًا من المعرفة الإنسانية، كان هذا هو شأن كلمتي " **أدب**" و"**نقد**"في مسار الحضارة العربية وتطورها.

في تحديد مفهوم الأدب:

أما لفظ كلمة الأدب فقد ورد في لسان العرب لابن منظور "الأدب الذي يتأدب به الأديب من النَّاس سمي أدباً لأنَّه يأدب النَّاس إلى المحامد ،وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدُّعاء، ومنه قيل للصَّنيع يدعى إليه النَّاس: مدعاةٌ ومأدبةٌ " [1] وقد تطور هذا المصطلح في سياقه اللُّغوي عبر المراحل الزَّمنية كما هو معلوم، فنجده عند " عرب الجاهلية: الدَّعوة إلى الطَّعام.فأدَبَ القوم: دعاهم إلى الطَّعام، وفي الإسلام أصبحت تعني: الخلق الحسن، يقول النَّبي صلي الله عليه وسلّم:" أدَّبني ربِّي فأحسن تأديبي" وفي العصر الأموي أصبحت تعني التَّعليم والتَّثقيف..." [2] ثم أصبحت متداولة في الكتب فهذا الجاحظ نلفيه يقول مرة:"والأدب أدبان: أدب خلق، وأدب رواية، ولا تكمل أمور صاحب الأدب إلا بهما"، ويقول في عبارة أخرى مشابهة للتِّي أثبتنا في القول الأوَّل: "والأدب إمَّا خلق، وإمَّا رواية، وقد أطلقوا اسم المؤدب على العموم" [3] وهذان التَّعريفان ليسا إلا تعريفين من بين التَّعاريف الشَّائعة لأنَّ معاني الأدب قد تنوعت واختلفت من باحث إلى آخر، وقد آثرنا الاكتفاء بهذين التَّعريفين لوضوحهما وغموض جلّ التَّعاريف الأخرى وتشعبها.

[1]– ابن منظور،لسان العرب دار صادر، بيروت، ط8، مج1، 2014، ص70 .

[2]– محمَّد عزَّام، المصطلح النَّقدي في التُّراث الأدبي العربي، دط، دار الشُّروق العربي، ص 18.

[3]– قراءة جديدة لتراثنا النَّقدي، النَّادي الثَّقافي، جدَّة، المملكة العربية السُّعودية، مج1، دط، ص280.

أما كلمة نقد فقد جاء في معاجم اللّغة بمعنى التّمييز وأيضا بمعنى النّقاش [1]، ومن العسير تحديد أوّل من استعمل اللّفظة بمدلولها الاصطلاحي لأنَّ العرب قديما عرفوا النّقد ممارسة قبل أن يعرفوه مصطلحًا وتنظيرًا وكانوا يعبّرون عنه بمصطلحات أخرى كالعلم بالشّعر، وصناعة الشّعر وغيرها من المصطلحات التّي لها المفهوم نفسه مع مصطلح النّقد، وقد وردت كلمة النّقد في المدوّنة النّقدية القديمة فنجد ابن سلام (ت 231هـ) يوردها بمعناها اللّغوي أثناء حديثه عن الجهبذة بالدّرهم والدّينار، فقال: "يعرفها النّاقد عند المعاينة "، واستعملها الجاحظ(ت 255هـ) بمعناها الاصطلاحي فقال:"يعطى جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني"[2] .

ونجد فيما بعد قدامة بن جعفر (337هـ) يحاول أن يعطيها صبغة علمية بجعلها مضافة للشّعر حيث قال في مقدّمة كتابه " نقد الشّعر": "ولم أجد أحداً وضع في نقد الشّعر وتخليص جيّده من رديئه كتابًا"[3] .

هذا الّذي سلف بعض ملامح نشأة مصطلح الأدب والنّقد وأصولهما عند العرب، وكيف تطور هذا المصطلح من معناه اللّغوي إلى الاستعمال الاصطلاحي، وسنأتي على ذكر تطور هذا المصطلح في مجال تمييز جيّد النُّصوص من رديئها :

من المعلوم أنَّ النّقد في أبسط تعاريفه هو فن تمييز صحيح النُّصوص من فاسدها، وقد كان في بدايته ذاتيًا انطباعيًا يقوم على الذّوق والسّليقة، ثم بدأ يتطور في إطار تطور الصّورة العامة للأدب فالأدب عند العرب كسائر الصّناعات صناعة جميلة كالنّحت والنّقش ونسيج الثّياب وتلوينها وبالتّالي يكون النّقد صناعةً أيضًا لكنَّه غير قائمٍ بذاته بل متّصل بالأدب، فهو صناعة تذوُّقٍ لا صناعة خلقٍ وإنشاء، لهذا كان النّقد قائماً على وجود الأدب أو البيان، وقد سبق أن قلنا أنَّ لفظ النّقد قد أخذه العرب من قولهم نَقَدَ الدّراهم والدّينار أي بيَّن رديئه من جيّده وسليمه من زائفه

[1]– عبد العزيز عتيق، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، دار النّهضة العربية، بيروت، لبنان، ص08.

[2] – نقلا عن الجاحظ، محمّد عزّام،المصطلح النّقدي في التُّراث الأدبي العربي، دط، دار الشُّروق العربي، ص385 .

[3]– المرجع نفسه، ص 386.

وشبَّهوا النَّاقد بالمعيِّر الّذي يقوم بفرز الدَّنانير والدَّراهم، يقول ابن سلام: "وللشِّعر صناعةٌ وثقافةٌ يعرفها أهله كسائر أصناف العلوم والصِّناعات منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللِّسان، ومن ذلك اللُّؤلؤ والياقوت لايعرف بصفة ولا بوزن دون معاينة بالبصر، ومن ذلك الجهبذة بالدِّينار والدِّرهم، لا تعرف جودتها بلون ولا مس ولا طرز ولا وسم ولا صفة، ويعرفه النَّاقد عند المعاينة فيعرف بهرجها وزائفها..." [1] فصلة النَّقد بالأدب صلة وثيقة وطيدة والعلاقة بينهما علاقة شرطية فالأدب شرط لوجود النَّقد فبدون الأدب لن نجد النَّقد .

لقد نشأ النَّقد العربي في بداياته نشأة عربيَّة خالصة بامتياز بعيدًا عن المؤثِّرات الأجنبية، وقائمًا على الذَّوق العربي الخالص، وتعود النّواة الأولى لنشأته مع الأسواق الأدبيَّة التّي كانت تعقد في الجاهليَّة وأبرزها سوق عكاظ الأدبي، وهذا ما يؤكد على أنَّ الشِّعر كان في تلك المرحلة على قدرٍ كبيرٍ من النُّضج، وقد ارتبط النَّقد به تفاعلاً وتكاملًا للذَّوق الفطري العام الذي يستحسنه الجميع، وهذا الذي أفرز لنا فيما بعد شعراء فحول وأدباء فصحاء وناثرين بلغاء، وممَّا لا شك فيه أنَّ النَّقد نشأ مبكراً وعاصر الأدب عمومًا والشِّعر خصوصًا منذ طفولته، ولعلَّ أوَّل ناقد وجد كان عقب ظهور أوَّل شاعر سواءٌ أكان هذا النَّقد سلبيًا يقف عند تَّذوق الشِّعر أم تجاوز ذلك إلى الشَّرح والتَّعليل، وهكذا كان النَّقد مسايرًا للأدب في كلِّ عصوره التَّاريخية [2].

وقد أخذ النَّقد يتطور وينمو متجاوزًا الارتجال في الأحكام إلى النَّقد المعلَّل، فقد كان لطابع الحضارة تأثيرٌ على السَّاحة الأدبية مما يؤثِّر على الحركة النَّقدية، فقد شهد القرن الأوَّل والثَّاني بداية لميلاد الحركة العلميَّة نتيجة لقانون التَّأثير والتَّأثر بين الحضارات، وقد أتت هذه الحركة أكلها في القرون التِّي جاءت بعدها، فبدأ تشكل العلوم بمختلف الحقول ومعها بدأ النَّقد يتبلور على شكل نظريات، فنشأ النَّقد اللُّغوي مع علماء اللغة والنَّحو، ثمَّ كان لحركة التَّرجمة الواسعة لمختلف الكتب الأجنبيَّة وبالخصوص كتب اليونان أثر بالغ الأهمية في نضج الآراء والنَّظريات النَّقدية حيث اشرأبَّت عقول

---

[1] – ينظر : محمد زغلول سلام، تاريخ النَّقد الأدبي والبلاغي حتَّى القرن الرَّابع الهجري، دط، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص11.

[2] – أحمد الشَّايب، أصول النَّقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ط10، 1994، ص106 .

علماء العرب بالتّفاعل معها، فعند إعادة رسكلة وصياغة هذه العلوم ضمن أسلوب العرب ووعيهم، فكان نصيبهم من التّأثر بها وافرًا ولا سيما الكتب التّي تحوي آراء فلاسفة اليونان، وقد كان لتعدُّد البيئات الثّقافية أثر لا يقل أهمية عن حركة التّرجمة حتى أصبحت معلمًا من معالم تطوره، ومن تلك البيئات بيئة المتكلّمين وبخاصة المعتزلة، فقد كانت هذه الثّقافة ذات حضور كبيرٌ مثيرٌ للجدل ومن ثَمَّ صار السُّؤال عن "تأثير" هذه الثّقافة سؤالا شاغلا لمؤرِّخي النّقد القديم وحفَّزهم على ذلك التّساؤل وأثر انتشار الثّقافة اليونانية بين المتّكلمين والمترجمين والفلاسفة وطبقات كثيرة من الموالي الذين يعرفون السّريانية وحتّى اليونانية "[1] وكذلك من العوامل التّي ساهمت في نشاط الحركة النّقدية ونضجها أكثر حركة التّدوين والتّي كان لها أثر كبيرٌ في خلق جو* يساعد على نضج النّظريات النّقدية وتطورها، وقد كان لظهور بعض المؤلفات على السّاحة الأدبية أثر كبير في تبلور كثير من القضايا النّقدية، ومن بين هذه المؤلّفات كتاب جمهرة أشعار العرب لـ"أبي زيد القرشي"، وكتاب طبقات فحول الشُّعراء لـ"محمَّد بن سلام الجمحي"، وقد كانت فكرة الطّبقات التّي انبنى عليها هذا الأخير فكرة **جليلة** كما وصفها إحسان عبّاس[2] وبداية لتأسيس النّقد المنهجي عند العرب[3] وفي ظلّ هذا الإطار العام التفت المؤرِّخون إلى أفكار أكثر صلة بعمل النّاقد فاستخدموها في تقسيم تاريخ النّقد إلى مراحل متمايزة، ومن تلك الأفكار أن جعلوا الذّوق فيصلًا في التّأريخ للنّقد فمضوا يرسمون صورة للنّقد القديم ينتقلون فيها من الذّوق الخالص إلى الذّوق المعلّل إلى التّعليل الخالص،كما تحدث الباحثون من خلال تأريخهم للنّقد عن مراحل تطوره حيث شبهوه بمراحل تطور الإنسان" طفولة، نضج، شيخوخة" أمّا الطُّفولة فتشمل العصر الجاهلي والعصر الإسلامي حتّى نهاية القرن الثّاني، وقد كان النّقد في هذه الفترة قائمًا على

---

[1] – مجدي توفيق،المعرفة التّاريخية للنّقد العربي القديم،ط1،2008،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر،ص65 .

*لقد رأى إحسان عبّاس أنّ التّأليف قد خلق مجالا صالحا للنّقد (إحسان عبّاس، تاريخ النّقد الأدبي، ص 647)،وهذا أحد المفاهيم التّي يبني عليها إحسان عبّاس نظريته في التّأسيس لتاريخ النّقد العربي.

[2] – إحسان عبّاس، تاريخ النّقد الأدبي، ص66.

[3]– محمَّد مندور،النّقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع،القاهرة،1996،ص12 .

* أو ما يسمى تجاوزاً عصر النّهضة لأنّ النّهضة تقوم على التّغيير والإصلاح في جميع المجالات السّياسية والإقتصادية والإجتماعية والمعرفية والعلمية،أما ما قام به العرب عقب حملة نابليون على مصر إنّما هو ردّة فعل جعلتهم يتخبّطون بين العودة إلى الماضي بكلّ ما فيه أو تقليد الغرب للّحاق به واسترجاع المجد الضّائع،وهذا نفسه ينطبق على الحركة الأدبية والنّقدية في تلك الفترة وما بعدها .

الذَّوق الخالص والأحكام السَّاذجة وعدم المنهجيَّة، أمَّا مرحلة النُّضج فتشمل كلّ من القرن الثَّالث إل غاية القرن السَّادس، وقد تميَّز النَّقد فيها بمنجزات نقدية قائمة على الذَّوق المعلَّل والعمل المنهجي والنَّشاط المنَّظم، أمَّا الشَّيخوخة فتمتد إلى غاية عصر اليقظة العربية في القرن العشرين للميلاد، وقد تميزت هذه الفترة بالتَّعليل الخالص والأحكام البلاغية الجافة [1] فهذا التَّقسيم العام نجده في كثيرٍ من الكتب التي تناولت التَّأريخ للنَّقد العربي، فالكلُّ يتفق على أنَّ للنَّقد مراحل مرَّ بها تتمثَّل في مرحلة الأوَّليات أو الإرهاصات إلى مرحلة التَّأسيس وبناء النَّظريات ثم مرحلة الخوف من الضَّياع وهي مرحلة المراجعة والتَّفريعات ثمَّ مرحلة الضَّياع وهي الفترة التِّي سمّيت بعصر الضعف.

ما أتينا على ذكره في ما سبق هو مسحٌ تاريخي للنَّقد العربي القديم وأهمّ الملامح العامة التّي ميَّزته عبر القرون المتتالية من طفولته إلى غاية شيخوخته، لكنَّ الإشكال الذي يعرض نفسه بإلحاح هو كيف فكر العرب في التأريخ للأدب ونقده، وماهي الدَّوافع التّي حفزتهم لاختيار هذا المنهج لقراءة الأدب العربي القديم ونقده ؟

لقد انبنى خطاب اليقظة العربيَّة على سؤالٍ كبيرٍ تتضمن صيغه الإشكالية التَّالية: "لماذا تقدَّمت الأمم الأخرى وتخلَّف العرب والمسلمون عنهم؟" وللإجابة عن هذا السُّؤال وما يحمله من معانٍ أخذت كل الاتجاهات الفكرية تحاول وتبحث له عن أجوبة، فالاتجاه الإصلاحي السَّلفي أخذ بشعار "كنَّا قوما أذلة فأعزَّنا اللَّه بالإسلام فإذا ابتغينا العزَّة بغير الإسلام أذلنا اللّه" محاولين حماية الهوية الإسلامية من الذَّوبان في الغرب الامبريالي إذ من" المعروف أنَّ زمن تبلور الخطاب النَّهضوي السَّلفي كان يواكب زمن التَّسرب الامبريالي، ومن هنا فإنَّ خطاب السَّلفيِّين يتضمَّن مجادلة مستمرة مع غرب الامبرياليَّة، لقد اعتبر مثقَّفو هذا التَّيار أنَّ الهيمنة الغربية تسعى لإلغاء الهوية الإسلامية، ولهذا يجب محاورتها والتَّصدي لها" [2] ويقابل هذا الاتجاه التَّيار اللِّيبرالي الذّي استهوته الهيمنة الأوروبيَّة على جميع

[1] – ينظر :مجدي توفيق،المعرفة التَّاريخية للنَّقد العربي القديم،ص16 .

[2] – محمد أيت لعميم، المتنبي الرُّوح القلقة والتِّرحال الأبدي، ط1، مراكش،2010، ص25 .

الأصعدة، وحاول إدماج كلَّ ما أنتجته الحضارة الأوروبيَّة من نظرياتٍ وأفكارٍ في مختلف المجالات السِّياسية والاقتصادية والأخلاقية والعلميَّة لعلَّهم يستدركون مافاتهم ويعوضون بعض ما ضاع منهم .

ففي خضمِّ هذه الصِّراعات الإيديولوجية والإبستمولوجية والإحساس بالنَّقص عند العرب كان مفروضًا على الأدب خدمة تلك الأغراض الإصلاحيَّة التّي تعرضها مختلف التَّيارات الموجودة على السَّاحة العربيَّة فكان لا بدَّ للكتابات والأقلام الرَّائدة أن تكون كاشفة عن هذه المرحلة الحاسمة في تاريخ الأمَّة العربيَّة، فكان كتاب طه حسين "مع المتنبي " وكتاب محمود شاكر " المتنبي " خير معبِّر عن هذا التَّناقض والصِّدام الواقع في هذه الفترة بين مختلف التَّيارات المتصارعة .

بسبب الانقطاع المعرفي الحاصل "نتيجة لظروف تاريخية خاصة، وليس نتيجة فعل متعمَّد من أصحاب هذا الفكر وحامليه، فقد كان طبيعيًا أن يكون التَّوجه إلى التُّراث عند ذاك محمَّلاً برغبات الاستعادة والتَّواصل، وقد كان طبيعيًا كذلك أن تعمل هذه الاستعادة على محورين: محور الكشف عن أبعاد ذلك الكيان المسمَّى تراثًا ،وعن المخبَّأ والمجهول منه، ومحور القراءة والاستيعاب لدى المحقِّقين للوعي به والتَّواصل معه" [1] وقد كان المنهج التَّاريخي في هذه المرحلة أكثر المناهج تداولاً بين النُّقاد حيث اعتمد في أغلب الدِّراسات الأدبيَّة بعد عصر اليقظة، وتجلَّى في كثيرٍ منها وكان أوَّل من ظهر عنده "حسين هيكل "في كتابه "تاريخ الأدب" ثمَّ ظهرت عدَّة مؤلَّفات حاول أصحابها تطبيق هذا المنهج وتطوير آلياته للتَّعامل مع التُّراث الأدبي، ومن بينهم جورجي زيدان في كتابه "تاريخ آداب اللُّغة العربيَّة" وطه حسين في كتابيه "تجديد ذكرى أبي العلاء" و"في الأدب الجاهلي" وأحمد أمين في سلسلته "فجر الإسلام.ضحى الإسلام.ظهر الإسلام" ومصطفى صادق الرَّافعي في "تاريخ آداب العرب" وغيرهم من مؤرِّخي الأدب في العصر الحديث، وموازاةً مع هذا كان الاهتمام بالنَّقد في هذه الفترة استجابةً لنفس الدَّوافع التّي جعلت الأدباء والمفكرين يؤرِّخون للتُّراث الأدبي القديم، أي أنَّ التَّأليف في تاريخ النَّقد الأدبي لم يكن هدفًا في حدِّ ذاته، وإنَّما كان في إطار الصِّراع القائم بين

[1] – قراءة جديدة لتراثنا النَّقدي،النَّادي الأدبي الثَّقافي بجدة،المملكة العربية السّعودية، مج1، ص14.

الأفكار والنّظريات الأوروبية الإستشراقية وبين إثبات الهوية العربيّة، فظهرت عدّة كتب منها كتاب تاريخ النّقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرّابع لطه أحمد إبراهيم(1937)، وكتاب تاريخ النّقد الأدبي لعبد العزيز عتيق(1972)، وكتاب تاريخ النّقد الأدبي عند العرب"نقد الشّعر من القرن الثّاني إلى القرن الثّامن "لإحسان عبّاس (1971)، وغيرهم من النُّقاد الّذين أرّخوا للموروث النّقدي العربي.

وقد كان هؤلاء النُّقاد يدركون مدى أهمية ما يقومون به حيث أنَّ "أهمية التّأريخ للنّقد الأدبي تعدل التّأريخ لأنَّه يعرض لأهم الاتجاهات الفنّية والمذاهب الأدبيّة وأثرها في الذّوق العام، ويكشف عن تطور الذّوق من عصر إلى عصر، وماذا كان يغلب من اتجاهات في عصر دون آخر، ومدار اهتمام النُّقاد ودارسي الأدب ومناط عنايتهم، كذلك يطلعنا على كثيرٍ من الخصائص الفنّية والأسلوبيّة المتعلّقة بالنُّصوص الأدبيّة المختلفة، ومدى اهتمام النّاس بجوانبها وتفضيل النُّقاد لبعض هذه الجوانب وتقديمها على ما سواها، وكذلك بالنّسبة للأدباء وما يتعلّق بمذاهبهم الأدبيّة، وأمزجتهم وحياتهم وما إلى ذلك" [1] ولتكملة هذه النّظرة الإجمالية المختصرة أتبعنا هذا المبحث بمبحث آخر حاولنا فيه أن نشير إلى أهمّ الكتب التّي ألّفت في مجال التّاريخ للنّقد الأدبي عند العرب، وأهمّ الأسباب التّي دعتهم إلى تأليفها.

[1] – محمّد زغلول سلام، تاريخ النّقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرّابع الهجري، ص6.

المبحث الثّاني: التّأليف في تاريخ النّقد .

يقوم هذا المبحث على محاولة النّظر في بعض الكتب النّقدية التّي أعطت للموروث النّقدي سمة الحيوية، فأخذ أصحابها يتتبّعون تطوره من طورٍ إلى طورٍ، ومن عصر إلى عصر، وكلٌّ ينظر إليه من وجهة نظر تتحكّم فيها إمكاناته الإبستمولوجية وخلفياته الإيديولوجية، ولم نتناول في هذا المبحث كلَّ ناقد بالتّأريخ لحياته والمؤثّرات التّي أثّرت فيه، بقدر تناولنا للقضايا النّقدية وأهمّ المرتكزات التّي بنى عليها كلّ ناقد نظريته النّقدية.

تاريخ النّقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرّابع لطه أحمد إبراهيم:

إنّ المتصفح لكتب تاريخ النّقد يجد أنّ هذا العمل من أبرز المحاولات الجادة وأوّلها في التّأريخ* للنّقد العربي منذ أقدم عصوره حتّى بداية اليقظة العربيّة والعقود التّي تلتها، وقد كانت هذه المحاولة أوليّة "لا تفي بحاجتنا إلى التّأريخ للنّقد الأدبي، وإن كان لها فضل التّنبيه على أهمية الموضوع والتّخطيط له"[1] وقد كانت هذه المحاولة التّي هي في الأصل مجموعة محاضرات ألقاها الأستاذ في كلية الآداب التي كان يدرس بها، وهي جزء من كتابٍ أراد أن يجمع فيه تاريخ النّقد الأدبي عند العرب ولكن الموت حال بينه وبين إتمام الغاية وبلوغ المراد، وقد جاء هذا الكتاب بالطّريقة التّي كتبه بها صاحبه على"هذا النّظام القويم، والموضوع التّام، والاحتياط في الأحكام"[2] وقد كان ما أنجزه طه إبراهيم في تأريخه للنّقد الأدبي عند العرب قد ركّز على الفترة الممتدّة من العصر الجاهلي إلى غاية حدود القرن الرّابع، ولم ينطلق في تأريخه للنّقد وإعادة قراءته من فراغ لأنّ قراءته كانت تتحكّم فيها الخلفيّات الإيديولوجيّة والفكرية، ذلك أنّ طه إبراهيم كان يحكمه هاجس القوميّة العربيّة في منجزه هذا، وما يؤكّد ذلك بوضوح إصراره على كلّ من عروبة الشّعر[3] والنّقد في نشأتهما بعيدًا عن كلّ المؤثرات الأجنبيّة .

---

[1]– محمّد زغلول سلام، تاريخ النّقد الأدبي والبلاغة، ص6.

[2]– أحمد طه إبراهيم، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرّابع الهجري، مكتبة الفيصلية، 2004، دط، ص7.

* التاريخ هو .....والتّأريخ هو

[3]– طه أحمد إبراهيم، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، ص24.

ويذكر "أحمد الشّايب" في تقديمه للكتاب أنَّ بداية دراسة "طه أحمد إبراهيم "في هذا الكتاب كانت لسدِّ الثَّغرة التِّي أحدثتها المناهج جملةً بقصورها بشيءٍ أو بآخر إذ يقول: "وليبرأ قبل ذلك من هذه الآفات وكان لا بدَّ أن نسلك فيه نفس الطَّريق التِّي سلكناها في الأدب، فقد درسناه من النَّاحية التَّاريخية ومن الناحية الفنِّيَّة، فتوافر لنا درسان هما الأدب وتاريخه، وكذلك لا بدَّ من الوقوف عند النَّقد من حيث هو فنٌّ له أصوله وطرائقه فهو الدَّرس الفنِّي، ومن حيث ماضيه وأطواره فهو الدَّرس التَّاريخي"[1] فهذه الدِّراسة تقوم من خلال تدوين نظراتٍ العرب في أدبهم وفي شعرائهم وكتَّابهم، إضافةً إلى تاريخ هذه النَّظريات والميولات، وما طرأ عليها من تبدُّل، وما جدَّ فيها عصرا بعد عصر.

إنَّ المنجز الذي ألَّفه "طه أحمد إبراهيم" "قراءة نموذجية في تمثيلها للنَّمط القرائي السَّائد طوال فترة ما بين الحربين"[2] فقد عبَّر وكشف عن تلك الفترة التِّي كانت تعيشها البلاد العربية من صراعات فكرية بين التُّراث والمتمسِّكين به وبين المعاصرة ودعاة الولوج في زخم الحضارة الأوروبية الغربية.

النَّقد المنهجي عند العرب لمحمَّد مندور:

يعدُّ هذا الكتاب أحد أهمّ ما ألَّفه الدُّكتور "محمَّد مندور" إن لم يكن أبرزها على الإطلاق ففيه عَمَدَ إلى دراسة النَّقد العربي بداية من أوَّل كتاب أُلِّف في الأدب العربي ألا وهو"طبقات فحول الشعراء"لابن سلام الجمحي وصولاً إلى ابن الأثير في"المثل السَّائر" مع تتبُّع لأهمِّ المؤلَّفات، واتخا ذ ناقدين كبيرين مَركزًا لهذا البحث هما الآمدي صاحب"الموازنة بين الطَّائيين" وعبد العزيز الجرجاني صاحب "الوساطة بين المتنبِّي وخصومه"[3] وقد تميَّزت هذه القراءة بالتَّقويم الحاد الذي لم يبق من التُّراث النَّقدي سوى ثلاثة نقاد هم الآمدي وعلي بن عبد العزيز الجرجاني وعبد القاهر"أمَّا

[1]– طه أحمد إبراهيم، تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب، ص9.

[2]– قراءة جديدة لتراثنا النَّقدي، النَّادي الأدبي الثَّقافي بجدة، ص126.

[3]– محمَّد مندور، النَّقد المنهجي عند العرب، ص5.

الآمدي ففي كتابه الموازنة صفات تجعل منه زعيم النَّقد العربي الذي لا يدافع (...) وأمَّا صاحب الوساطة فهو ناقد إنساني وفي كتابه صفحات لا يستطيع العلماء المعاصرون أن يكتبوا خيرا منها وأخيرًا عبد القاهر الذي اهتدى إلى منهج لغوي في النَّقد هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللّغة"[1].

وقد كانت هذه الدِّراسة "أتمَّ من سابقاتها وأكثر عمقًا وتناولًا للمذاهب النَّقدية، وعرضا لها وتحليلا وتتبعا لأصولها، وأبْيَن كشفا عن المؤثِّرات فيها" [2] وكانت هذه الأخيرة تحمل بعض العيوب أيضًا وذلك لاختلاف الآراء وتعدد طرق البحث المعرفية والإبستيمولوجية.

-تاريخ النَّقد الأدبي والبلاغة لمحمَّد زغلول سلام:

هذا الكتاب هو أحد المؤلَّفات التِّي تناولت التَّأريخ للنَّقد الأدبي عند العرب، فصاحب الكتاب يستعمل إلى جانب المنهج التَّاريخي منهجًا تحليليًا تكامليًا كما أشار إلى ذلك في مقدّمة كتابه، ويعرض محمَّد زغلول بين طيَّات منجزه لأشهر الشُّعراء والمعارك التِّي دارت بينهم، ثمَّ نلفيه يذكر الكتب التِّي ألِّفت حول هذه المعارك بشتَّى أنواعها بصدد الدِّفاع عن هذا أو التَّعصب لذاك أو الإنصاف والاعتذار لمن أخطأ، وقد كانت هذه الكتب على حدِّ تعبير زغلول علامات في سبيل التأريخ للنَّقد الأدبي ومذاهبه عند العرب [3].

وقد برزت عدّة منجزات نقدية حاملة لواء التَّجديد في الطَّرح والتَّنويع في طريقة التَّأريخ للنَّقد العربي القديم، نذكر منهم كتاب "في النَّقد الأدبي عند العرب"لمصطفى عبد الرحمن إبراهيم، وكتاب "تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب" لعبد العزيز عتيق ولعلَّ أفضل من تطرق إلى دراسة هذا الموروث النَّقدي الهائل بطريقة منهجية علميَّة "تقرب الفهم إلى الدَّارس" هو النَّاقد إحسان عبَّاس في كتابه

[1]- قراءة جديدة لتراثنا النَّقدي، النَّادي الأدبي الثَّقافي بجدة، ص128.

[2]- محمَّد زغلول سلام، تاريخ النَّقد الأدبي والبلاغة، ص6.

[3]- ينظر: محمّدزغلول سلام، تاريخ النَّقد الأدبي والبلاغي حتَّى القرن الرَّابع الهجري، ص 20 .

تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب، الذي يحاول فيه أن يعطي النَّقد كيانًا عامًا بنظرةٍ شموليةٍ إلى هذا الكيان" [1] .

وهذا ما سنحاول إبرازه في هذه الدِّراسة مستعينين بعدد من الاجتهادات البارزة في مجال السَّاحة الأدبية .

ونشير إلى أن الكتب التّي أرَّخت للنَّقد الأدبي عند العرب هي من الكثرة حتَّى إنَّه ليصعب علينا حصرها والوقوف على أسماء مؤلّفيها، ذلك لاحتواء المكتبة العربيَّة على كمٍّ زاخرٍ من الكتب والدِّراسات والبحوث التّي اهتمت بالتَّأريخ للنَّقد العربي القديم، سواءٌ كان هذا التَّأريخ للنَّقد عامة أو لدراسة علم من أعلامه، أو تتَّبع قضية من قضاياه باعتبار النَّقد معرفة تحملها الأجيال بغرض تطويرها وتنميتها .

[1]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص12 .

المبحث الثالث: أصناف ومناهج كتب تاريخ النّقد.

من الواضح "أنَّ الأعمال الخالدة هي العمود الفقري لتأريخ الأدب، ومن الملاحظ أنَّ المؤرِّخ بوصفه مؤرِّخا لا يحكم على الشَّيء الّذي جعل هذه الأعمال خالدة، ومن الحقِّ أن يحترم الأحكام المتَّخصصة، ولكن مثل هذه الآراء مادة تاريخيَّة لأنَّها تجيء من الماضي كما لو أنَّ المؤرِّخ يقول لنا: كلّ ما قبله عددٌ كافٍ من القراء خلال عصرٍ كافٍ من الزَّمن هو أدب، ففكرة التَّصنيف تقوم على رضاء النَّاس وعلى الذَّاكرة الاجتماعية وذلك يعني: علم التَّاريخ" [1] وقد كانت المناهج بمختلف توجهاتها تنطلق من مجال دقيق من اختصاصات علومها. وهذا ما نسعى لتوضيحه في هذا المبحث منطلقين في ذلك من القول المشهور"للسَّابق فضل على اللَّاحق"* متقصِّين ذلك الفارق بين أصناف هذه الكتب وطبيعة تباين واختلاف المناهج المتَّبعة في التَّأليف ومقتصرين على ثلاثة مناهج رئيسة في التَّأليف لتاريخ النَّقد: المنهج الكرونولوجي "التَّاريخي" والمنهج التَّاريخي التَّطوري بالإضافة إلى المنهج التَّعليمي المدرسي .

تعدُّ الدِّراسات التَّاريخية في النَّقد العربي من أقدم الدِّراسات وأعرقها نشأةً وتداخلاً مع النَّقد الفنِّي في كثيرٍ من قضايا، إذ نلفي كثيرًا من الأحكام النَّقدية تعتمد في أسسها على التَّصورات التَّاريخية أمَّا في العصر الحديث ومع بداية ما أسميناه باليقظة العربية فإنَّنا نجد المنهج التَّاريخي قد اعتُمِد في جلِّ الكتابات الأدبية والنَّقدية وقد استطاعت مجموعة من الباحثين أن تثري المكتبة العربية بمؤلفاتها خدمةً وحفاظًا على تراثها وإيمانًا منهم بضرورة مزاولة إنتاج العمل الأدبي مواكبين بذلك تتبُّع أهمِّ المنجزات الثَّقافية لحضارتنا التَّليدة ومن" أبرز الأساتذة الذين اشتغلوا بتاريخ الأدب والنَّقد أمثال: شوقي ضيف وسهير القلماوي وعلي جواد الطَّاهر وإحسان عبَّاس ومحمد يوسف نجم

[1] –إنريكو أندرسون إمبرت، مناهج النَّقد الأدبي، تر:الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب، 1991، ص23 .

* مثل أو حكم أطلقه الآمدي في كتابه الوساطة بصدد الحكم على جودة الشِّعر .

ورشاد رشدي ومحمَّد النُّويهي وغنيمي هلال وعبد القادر القط وتوفيق بكار وشكري عياد وعدد كبير من الأساتذة الآخرين"[1].

إنَّ جلّ الدِّراسات التّي كتبت في العصر الحديث نجدها تأثّرت بالمنهج التَّاريخي فهذا المنهج "هو الصَّرح النَّقدي الرَّاسخ الذي واجه أعتى المناهج النَّقدية الحديثة المتلاحقة التي انبثقت خصما على المنهج التَّاريخي وكلّها قد استمدت بصيغة من الصِّيغ قانونها الأساسي من الاعتراض عليه أو مناقضته جذريًا، وهو منهج يتَّخذ من حوادث التَّاريخ السَّياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره أو التَّاريخ الأدبي لأمَّة ما، ومجموع الآراء التّي قيلت في أديب ما أو في فنٍّ من الفنون"[2] وقد اعتمد هذا المنهج في دراساتهم الأدبية والنَّقدية محاولين بذلك فهم هذه النُّصوص وتفسيرها للوصول إلى آراء نقدية ونتائج واضحة .

وقد عرف هذا المنهج تطورًا وانتشارًا على يد أعلامه البارزين، ومن أشهرهم :

- هيبوليت تين(Hippolyte Adolphe Taine): صاحب الثُّلاثية المشهورة العرق والبيئة والزمن .
- فرديناند برونتيار(Ferdinand Brunetière):آمن بنظرية التَّطور لدى داروين وأنفق جهوده في تطبيقها على الأدب .
- سانت بيف (Charles Augustin Sainte-Beuve):ركز على شخصية الأديب تركيزا مطلقا [3].

ويعدُّ هذا المنهج تمهيداً للنَّقد الأدبي فالنَّاقد الأدبي بحاجة لهذا المنهج في عمليته النَّقدية إذ يعينه على "فهم البواعث والمؤثرات في نشأة الظَّواهر والتَّيارات المرتبطة بالمجتمع انطلاقًا من قاعدة الإنسان

[1]– صلاح فضل، مناهج النَّقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات ،ط1 ، 2002، ص175.
[2]– يوسف وغليسي، مناهج النَّقد الأدبي، جسور للنشر والتَّوزيع، الجزائر، ط3، 2010، ص15.
[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص16– 15.

ابن بيئته"[1] فعلاقة المنهج التّاريخي بالنّقد علاقة تكامليَّة شأنه في ذلك شأن الشِّعر وكيفية تعامل الخطاب النّقدي معه.

وقد عرف نقدنا العربي هذا المنهج وكان له إرهاصاته الأولى لدى قدماء النُّقاد العرب، مثل عبد العزيز وعبد القاهر الجرجانيان وغيرهم، وصولاً إلى الدِّراسات الحديثة التّي حاولت فهم التُّراث وهضمه وإعادة إنتاجه من جديد وفق منظور علمي جديد، وذلك في ظلّ التّيارات والمناهج المستوردة من الغرب الذين كانوا هم السَّباقين إلى التّنظير إلى هذه المناهج ومن بينها المنهج التّاريخي .

كما تعد نهايات الرُّبع الأوّل من القرن العشرين بداية التّأريخ للممارسات النّقدية التّاريخية في النّقد العربي وكان ذلك على يد نقاد تلقوا تعليمهم عل يد رموز هذا المنهج، سواءٌ كان هذا التّتلمذ مباشرًا أو غير مباشرٍ يتزعم هؤلاء النُّقاد الدُّكتور أحمد ضيف الّذي يمكن عده أوّل متخرّج في مدرسة لانسون الفرنسية، فهو أوّل أستاذ للأدب العربي أوفدته الجامعة المصرية الأهلية للحصول على شهادة الدُّكتوراه من جامعة باريس وقد حصل عليها برسالة عن بلاغة العرب في الأندلس، بالإضافة إلى طه حسين وزكي مبارك وأحمد أمين ...

ويمكن أن نعدَّ محمَّد مندور الجسر التّاريخي المباشر بين النّقدين الفرنسي والعربي، فهو أوّل من أرسى معالم اللّانسونية* في النّقد العربي حين أصدر كتابه "النّقد المنهجي عند العرب "مذيلاً بترجمة لمقالات لانسون الشّهيرة "منهج البحث في الأدب " وكان ذلك في حدود سنة 1946، وقد عرف هذا المنهج عند عددٍ من الأكاديميِّين حتّى صار اعتماده متداولًا بينهم فبرز شوقي ضيف وسهير القلماوي إضافة إلى عبّاس الجراري ومحمَّد صالح الجابري، وكلّ من بلقاسم سعد الله وصالح خرفي وغيرهم[2].

---

[1]– يوسف وغليسي، مناهج النّقد الأدبي، ص15.

* اللانسونية: نسبة إلى صاحبها جوستاف لانسون، ظاهرة نقدية شغلت الجامعة الفرنسية منذ مطلع العشرين وحتّى منتصفه، قامت عليها مئات المصنفات النّقديَّة والأدبيَّة.

[2]– ينظر : يوسف وغليسي، مناهج النّقد الأدبي ،ص18.19.

وعليه يمكن أن نخلص بأنَّ الأهمية الأساسيَّة لهذا المنهج تكمن في أنَّه يقدم جهودًا معينة في سبيل قراءة الأعمال الأدبيَّة باعتبارها وثائق تاريخيَّة لا تنفصل عن الزَّمن والبيئة، ولعلَّ هذه القراءة هي التّي جعلته الأكثر ذيوعًا وشيوعًا .

وبما أنَّ هذه الدِّراسات والمناهج المتبعة حديثة الذِّكر غير متأصلة ومقننة منذ القدم وغير ثابتة الدَّعائم عند النُّقاد العرب نجدها قد غلب عليها طابع الثَّقافة التَّنويرية محاولةً فهم الوعي التَّاريخي بقدر الإمكان فكان لزومًا عليها أن تنحو وتتجلَّى دراستها في منهجين أساسيين، هما: المنهج التَّاريخي الذي صاحبه فيما بعد المنهج التَّطوري والمنهج التَّعليمي، ومن أشهر المؤلفات التي استعمل فيها أصحابها المنهج التَّاريخي كتاب طه أحد إبراهيم"تاريخ النَّقد الأدبي من العصر الجاهلي إلى القرن الرَّابع"، وكتاب أحمد بدوي طبانة "أسس النَّقد الأدبي عند العرب، وكتاب محمَّد زغلول سلام تاريخ النَّقد الأدبي والبلاغة من العصر الجاهلي إلى القرن الرَّابع هجري وغيرها من الكتب. ومع بداية السِّتينات تواصل لدى إحسان عبَّاس "الخط الصَّاعد للنزعة التَّاريخية مقترنا بنظرة كلية شاملة من ناحية ومن منظور يوازن بين النَّظرية والتَّطبيق من ناحية ثانية، دون أن ينفصل الاثنان عن بعد للقيمة يُحتكَم فيه على سلامة البناء النَّسقي لإجراءات التَّطبيق أو مقولات التَّنظير وذلك ما كان يرمي إحسان عبَّاس إليه بإشارته على الاحتكام إلى أساس شمولي في النَّظرة الكلِّية إلى كيان النَّقد الأدبي عند العرب منذ أواخر القرن الثَّاني الهجري حتَّى نهاية القرن الثَّامن، هذا الأساس الشُّمولي يقوم على معيار للقيمة المؤداة " [1]، وبالتَّالي يكون "إحسان عبَّاس" قد استعمل المنهج التَّاريخي التطوري لمحاولة فهم وتتبع تطور النَّقد الأدبي في هذه المدونة النَّقدية الممتدة عبر العصور ليعطي نظرة كلية لهذا الكيان.

وعليه يمكن القول أنَّ دراسة الدُّكتور "عزّ الدِّين إسماعيل" "الأسس الجمالية في النَّقد العربي القديم" ودراسة الدُّكتور "جابر عصفور" "مفهوم الشعر في التُّراث النَّقدي "، ودراسة الدُّكتور "عبد الحكيم راضي" "نظرية اللغة في النَّقد العربي"، ودراسة الدُّكتور "توفيق الزَّيدي" "مفهوم الأدبية في

[1]– جابر عصفور، قراءة التُّراث النَّقدي، مؤسسة عيال للدِّراسات والنَّشر ، ط1،1991 ، ص34.

التُّراث النَّقدي إلى نهاية القرن السَّابع الهجري"، ودراسة الدُّكتورة "إنعام فائق محي" "سلطة النَّص الشِّعري في المنظور النَّقدي والأدبي حتَّى نهاية القرن الخامس الهجري" وغيرها، تعدُّ من الدِّراسات التّي أخذت لنفسها توجهات نقدية نوعية متجاوزةً الدِّراسة التَّاريخية للنَّقد العربي وقضاياه.

إضافة إلى ذلك نجد المنهج التَّعليمي المدرسي يعطي بعداً ثقافياً يكمن في كيفية تبسيط قواعد النَّقد الأدبي ومسائله، ومحاولة الوصول إلى أذهان المتلقين- المتمدرسين- بضرورة الاهتمام بهذا التُّراث وكأنَّه ينبأنا بشكل أو بآخر بأن نعطي أولى اهتماماتنا بدراسة هذه المادة لأنَّها جزء من حضارتنا الإنسانية.

ومن الكتب التّي تجلى فيها انتهاج هذا المنهج نجد كتاب "في النَّقد الأدبي عند العرب "لمصطفى عبد الرَّحيم إبراهيم حاول أن يتوخى "في هذه الدِّراسة السُّهولة في العرض والوضوح في القصد متجنباً الايغال في مساريه المعقدة، ومسالكه المتشعبة " [1] ولعلَّنا نجد من أوائل الكتب التّي غلب عليها طابع المنهج التَّعليمي المدرسي أيضًا كتاب"في النَّقد الأدبي "لعبد العزيز عتيق الّذي هو عبارة عن محاضرات مجموعة على شكل كتاب، وممَّا تراءى لنا واتضح حول هذه الدِّراسات وكيفية تطبيقها للمنهج التَّعليمي المدرسي أنَّ الغاية منها الوصول إلى الهدف المنشود على أنَّه لا تتم دراسة النَّقد الأدبي في عصرنا إلا بمعرفته إبَّان المرحلة التّي نشأ وترعرع فيها لذا كان على هذه الدِّراسات "أن توجهه إلى السَّداد وتصحيح مسيرته وتكشف مايعتوره من خلل أو يعترض جادته وعندها يستبين ما ينبغي لنا إزاء هذه المناهج القديمة من التزام بها أو تعديل لها وإضافة إليها" [2] فهذه أبرز المناهج والدِّراسات التّي تناولت التأريخ للنَّقد العربي القديم غير أنَّ هناك دراسات ومناهج أخرى تناولت هذا الفنّ بالإضافة إلى ما ذكرناه، مثل المنهج الفنِّي وغيره من المناهج التّي تعاطت مع هذا النَّوع من الدِّراسة.

[1]- مصطفى عبد الرَّحيم وإبراهيم، في النَّقد الأدبي عند العرب، مكة للطِّباعة، 1998، ص1.

[2]- المرجع نفسه، ص.ن.

الفصل الثاني

قراءة أولية في كتاب

تاريخ النقد الأدبي

لإحسان عباس

المبحث الأوّل: حياة المؤلف وثقافته :

اسمه :

إحسان رشيد عبد القادر عبّاس .

مولده :

الثّاني من ديسمبر عام 1920م، في فلسطين في قرية عين غزال في حيفا .

تعليمه :

أنهى إحسان عبّاس المرحلة الدّراسية الإبتدائية في القرية الّتي ولد فيها، وحصل على الإعدادية في صفد وأتّم المستوى الثّانوي في حيفا وعكّا، ثمّ تحصّل على منحة الكلّية العربيّة في القدس في الفترة الممتّدة ما بين (1937.1941م)، ثمّ نال شهادة البكالوريوس عام 1946م، ليُتبع ذلك بشهادتي الماجستير عام 1952م، وبعدها الدُّكتوراه عام 1954م .[1]

أساتذته :

لعلّ من أشهرهم هؤلاء :

- عبد الرّحمان بوشناق .
- سهير القلماوي.
- شوقي ضيف .
- عبد الوهاب حمودة .
- أحمد الشّايب .[2]

[1] – يوسف بكار، حوارات إحسان عباس المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004، ص40.

[2]– إبراهيم السّعافين، إحسان عبّاس ناقد بلا ضفاف، الشُّروق للنّشر والتّوزيع، ط1، 2002، ص20.

- محمود محمد شاكر[1].
- أحمد أمين .
- جورج حوراني [2].

الوظائف التي شغلها في حياته :[3]

- عمل مدرسا في مدينة صفد بين عامي (1941. 1946م).
- درَّس بجامعة الخرطوم منذ عام 1951م، واستَّمر حتى عام 1961.
- عمل رئيسا لمجلة الأبحاث الصَّادرة عن كلّية الآداب الأمريكية ببيروت .
- عمل في جامعة عمَّان، وفي مؤسسة آل البيت فيها .

الجوائز التي حصل عليها [4]:

- جائزة الملك فيصل العلميَّة للأدب العربي عام 1981م.
- وسام المعارف اللّبنانية عام 1981م .
- وسام القدس من منظمة التَّحرير الفلسطينية عام 1988م .
- جائزة سلطان العويس الثَّقافية للنَّقد الأدبي عام 1992م .
- شهادة دكتُوراه فخرية من جامعة شيكاغو بأمريكا عام 1993م.

[1] – يوسف بكار، حوارات إحسان عبَّاس، ص85.
[2] – المرجع نفسه، ص156.
[3] – المرجع نفسه، ص40 .
[4] – المرجع نفسه، ص155 .

السِّيرة البحثية والتَّأليفية لإحسان عبَّاس :

إحسان عبَّاس واحد من الأقلية النَّادرة التَّي أعطت العلم كل شيء في حياتها وأخلصت الولاء لرسالته، فكافأها العلم بالكشوف التي تصنع علامات معرفية لا يمكن نسيانها أو تجاهلها في فضاء العلم الذي لا نهاية له، فالمتأمِّل في سيرته العلمية يجده قد خلَّف بنيانا أدبيًّا شاهقا يشكِّل نتاجه الثَّقافي الوافر الذي اكتسبه على امتداد حياته (1920. 2003)، "ففي التّحقيق كان الثّبت المدّقق، والعلّامة الذي اجتمع له الرُّسوخ في الثّقافة العربية القديمة، والاستبصار الواسع البعيد الغور في منهجيَّات التَّحقيق المعاصرة... وفي التّرجمة كانت له مقدرة هائلة في أن ينهي اغتراب النّص المترّجم، ويذيب عجمته في بيان عربيّ مشرق ... أمَّا التّأليف سواء في الأدب أوفي النّقد أو في التّاريخ فتعتَّبر دراساتٍ رائدة ومبتكرة"[1] فمؤلّفاته استثنائية في نوعيتها وتعدُّد مجالاتها وتنوُّع اهتماماتها، فهي تتنوع ما بين مؤلفات وأبحاث وتحقيقات وترجمات لكثير من الكتب، وممَّا لفت انتباهنا أثناء مراجعتنا لمؤلفاته كاملة الثَّراء المتفرِّد في الكمِّ والكيف، فإذا بنا أمام عناوين مؤلَّفات وأبحاث ومراجعات وتحقيقات لم نكن نعرفها من قبل، فأدركنا حينها معنى قول إبراهيم السيَّار في قوله: "العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلَّك"، فهذا النّاقد أنفق حياته في خدمة العلم فأعطاه العلم من الكنوز ما لم يعطه لغيره .

وقد حاولنا أن نحصي بعض ما تركه هذا النَّاقد من نتَّاج فكري في السَّاحة الأدبية:

- تاريخ الأدب الأندلسي "عصر الطَّوائف والملوك".
- **تحقيق** رسالة في التَّعزية لأبي العلاء المعري .
- **تحقيق** خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني.
- **تحقيق** رسائل ابن حزم الأندلسي، بالاشتراك مع شوقي ضيف وأحمد أمين .

[1]– يوسف بكار، حوارات إحسان عبَّاس، ص41.

- **تحقيق** فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري، بالاشتراك مع عبد المجيد عابدين.
- **تحقيق** جوامع السِّيرة لابن حزم الأندلسي، مع ناصر الدين الأسد .
- **تحقيق** التَّقريب لحدّ المنطق لابن حزم الأندلسي .
- **تحقيق** ديوان ابن حمديس الصَّقلي .
- **تحقيق** ديوان الرصَّافي البلنسي .
- **تحقيق** ديوان القتَّال الكلابي .
- **تحقيق** ديوان لبيد بن ربيعة العامري .
- **تحقيق** ديوان الصنوبري .
- **تحقيق** ديوان كثير عزَّة .
- **تحقيق** ديوان الأعمى التِّطيلي.
- شعر الخوارج .
- **تحقيق** الكتيبة الكامنة في أعلام المائة الثَّانية للسان الدِّين ابن الخطيب .
- **تحقيق** وفيات الأعيان لابن خلكان "8 أجزاء ".[1]
- تحقيق طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشِّيرازي .
- فن الشَّعر لأرسطو، **ترجمة**[2].
- عبد الوهاب البيّاتي، والشِّعر العراقي الحديث .[3]
- النَّقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانلي هايمن، **ترجمة** .
- يقظة العرب، جورج أنطونيوس، **ترجمة** .
- دراسات في الأدب العربي، فون جرنباوم، **ترجمة** .

---

[1] – **يوسف بكار، حوارات إحسان عبَّاس، ص 9** .

[2] – **المرجع نفسه، ص57** .

[3] – **المرجع نفسه، ص71**.

- دراسات في حضارة الإسلام، هاملتون جب، **ترجمة**.
- الشّعر العربي في المهجر الأمريكي، دراسة مع محمّد يوسف نجم.
- **تحقيق** التّذكرة الحمدونية لابن حمدون[1] .
- العرب في صقلية .
- تاريخ الأدب الأندلسي "عصر سيادة قرطبة "[2].
- تاريخ ليبيا .
- بدر شاكر السّياب، دراسة في حياته وشعره.[3]
- تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، نقد الشّعر من القرن الثّاني إلى القرن الثّامن ."وهذا الكتاب هو حقل الدّراسة في هذا البحث".
- دراسات في الأدب الأندلسي، دراسة بالاشتراك مع ودار القضي وألبير مطلق .
- ملامح يونانية في الأدب العربي.
- اتّجاهات الشّعر المعاصر[4].
- من الّذي سرق النّار ؟
- من التّراث العربي .
- الحسن البصري[5] .
- **تحقيق** نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب لابن المقري .
- **تحقيق** الذّيل والتّكملة على كتاب الموصول والصّلة (ج5 / ج6).
- **تحقيق** التّشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتّاني .
- **تحقيق** أمثال العرب للمفضّل الضّبي .

---

[1] – إبراهيم السّعافين، إحسان عبّاس ناقد بلا ضفاف، ص28.

[2] – يوسف بكّار، حوارات إحسان عبّاس، ص98 .

[3] – المرجع نفسه، ص41 .

[4] – إبراهيم السّعافين، إحسان عبّاس ناقد بلا ضفاف، ص28.

[5] – يوسف بكّار، حوارات إحسان عبّاس، ص101 .

- **تحقيق** الذَّخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسَّام (8 مجلدات) .
- **تحقيق** الوافي بالوفيات للصَّلاح الصَّفدي (ج7).
- **تحقيق** كتاب الخراج لأبي يوسف .
- **تحقيق** ليبيا في كتب التَّاريخ، بالإشتِّراك مع محمد يوسف نجم .
- تاريخ بلاد الشَّام [1]
- أزهار البرِّية .
- غربة الرَّاعي [2] .
- أبو حيان التَّوحيدي [3].

وفاته : [4]

توفي رحمه الله في عمَّان بتاريخ 2003/7/29م عن عمر يناهز 83 سنة، ودفن بمقبرة وادي السير.

ذهبَ الذينَ يعاشُ في أكنافهمْ وبَقيتُ في خَلْفٍ كجِلدِ الأجرَبِ

[1]– يوسف بكَّار، حوارات إحسان عبَّاس، ص99 .
[2] – المرجع نفسه، ص110 .
[3]– المرجع نفسه، ص156.
[4] – المرجع نفسه، ص41 .

المبحث الثاني : قراءة في عتبات الكتاب .

ونقصد بالعتبات تلك المداخل الأوّلية التّي تنتصب أمامنا قائمة ونحن نواجه مؤلّفاً ما ابتداءً بالعنوان، فالمقدّمات والتّوطئات والفهرس، وهي تلك التّي أطلق عليها جيرارد جينيت "النّص المصاحب " [1] والّتي كثيرا ما تكون واجهة مغرية للفهم منفتحة على القراءات المختلفة المتّعددة باعتبارها دوالا معبّرة مؤشرة .

العتبة الأولى " العنوان":

العنوان وفقا لما ورد في القاموس المحيط وغيره من معاجم اللغة هو "إظهار لخفي ووسم للمادة المكتوبة"[2] ذلك أنّ الكتاب يحتوي مادته وتكون خافية على القارئ بدايةً، وتكون مهمّة العنوان كشف وإيضاح ذلك المحتوى في كلمة واحدة أو عدّة كلمات، وفي النّظريات الحديثة يعتبر العنوان "عتبة قرائية" وعنصرا مهمًّا في تقبُّل النّص وفهمه وتأويله، ويختلف دور العنوان وأهميّته فقد يكون محدِّدا ومميِّزا للكتاب بشكل مباشر، وقد يُصاغ بطريقة رمزية أو مجازية مما يدفع القارئ أو المتلقّي لمحاولة التّأويل أو البحث عن التّطابق بين العنوان والمضمون، وبمعنى آخر البحث في مدى دقّة العنوان، فأغلب الدّراسات الحديثة تأكّد على أنّ لدلالة العنوان أهمّية كبيرة، لأنّه يساعدنا على وضع تصوُّر أوّلي عن عالم المؤلّف، وفضاءاته، لهذا لا يتمُّ اختيار العنوان بشكل اعتباطي ومتسرّع، فأغلب المؤلّفين يتريّثون طويلًا قبل أن يتّخذوا قراراهم النّهائي والحاسم في مسألة العنوان، فهو مدخل أساسي لقراءة الكتاب وفهمه، كما يحدِّد جنسه ونوعيته.

وعمومًا فإنّ إحسان عبّاس اختار عنوانًا تركيبيًا، مكوّنًا من عدّة مفردات:

---

1 – دومينيك مونغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمّد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، 2008، ص91.

2– مجد الدّين بن محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مج4، تح مجدى فتحي السّيد، المكتبة التّوفيقية، القاهرة ص283.

أ– تاريخ: جاء في لسان العرب التّاريخ : تعريف الوقت [1].

ب– النّقد الأدبي: هو" فنٌّ تحليل الآثار الأدبية، والتّعرّف إلى العناصر المكوّنة لها للا نتهاء إلى إصدار حكم يتعلّق بمبلغها من الإجادة"[2] أو" هو علم جيّد الشّعر من رديئه"[3].

ج – عند العرب: **خلاف العَجَم وهم سكان الأمصار، والعربيّ بيِّن العربية** والعروبة [4] .

يكاد يكون هذا العنوان الذي اختاره إحسان عبّاس التّيمة الملخّصة للمضامين العامّة للكتاب، والمعبّر الأمين عن الأفكار التي يتضمّنها، فعنوان كتابنا هذا مُتبع بعنوان فرعي صغير هو نقد الشّعر من القرن الثّاني إلى القرن الثّامن، والذي يحيل إلى القضايا الكبرى المتعلّقة بمنجزات النّقد الأدبي وتخصيصها بنقد الشّعر خلال الفترة الزّمنية المحدّدة في هذا العنوان أي من القرن الثّاني إلى القرن الثّامن الهجري .

العتبة الثّانية :المقدّمة .

جاء في القاموس المحيط أنّ مقدّمة كلّ شيء أوّله [5] وممّا لا شكّ فيه أنّ المقدّمة في أي كتاب تعدُّ البوابة الأساسية والمدخل الرّئيسي الّذي نلج من خلاله إلى عالم هذا الكتاب ومكنوناته، فالمقدّمة هي التّي تحفز القارئ على الاطّلاع على هذا المؤلّف أو تركه، وذلك لتضمنها نوايا الكاتب وتوجهاته واعتبارها محصّلة للبحث، وهي بيان لطبيعة الكتاب والكاتب.

ومنه فإنّ المقدّمة لا بدّ لها من عناصر تكونها كي تصبح مرآة عاكسة لمضامين الكتاب، وهذا ما سنأتي إلى بيانه فيما يلي:

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ص84 .

[2]– سامي يوسف أبو زيد، النّقد العربي القديم، دار المسيرة، عمان، 2013، ط1، ص19.

[3]– أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، مج 2، دار الشؤون الثّقافية العامة، بغداد، 1989،ص9.

[4]– الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مج1، ص129 .

[5] – المصدر نفسه : مج 4، ص 182 .

عناصر مقدّمة إحسان عبّاس في الكتاب :

الخلفية النّظرية للدّراسة: شعور إحسان عبّاس بأنّ النّقد عند العرب في حاجة إلى استئناف في النّظر والتّقييم، وإحساسه بأنّ التُّراث النّقدي الّذي كتبه السّلف فيه ما يستحقّ بذل الجهد ليعرض ذلك النّقد بأمانة وإنصاف .

أهمّية الموضوع: تتمثّل في محاولة إقامة كيان متماسك للموروث النّقدي القديم، تمكّن القارئ من إعادة بناء كثير من القضايا على نحو جديد ورؤية جديدة.

الجهود السّابقة: لم يشر إحسان عبّاس إلى أيّ جهد سابق في هذا المجال ولعلّ ذلك يعود لأنه يرى نفسه قد حاز السّبق في إنجاز مثل هذا العمل الّذي يعتبر عصارة ثقافته الواسعة وعلمه بالتّاريخ والنّقد والأدب .

صياغة الإشكالية: لقد صاغ إحسان عبّاس في ضوء قراءاته الواسعة موضوع بحثه وإشكاليّته بصيغة تقريرية واضحة وصريحة بحيث تُشخّص هذه العبارة التّقريرية سعيه في إقامة كيان للنّقد العربيّ القديم.

حدود الدّراسة في الكتاب: وهي الفترة الزّمنية والمكانيّة التّي خصّها إحسان بالدّراسة فالأولى هي الفترة الممتدّة مابين الأصمعي وابن خلدون أي من القرن الثّاني إلى القرن الثّامن ، والثّانية هي مشرق العالم الإسلامي ومغربه .

المنهج المستخدم في الكتاب: اعتمد إحسان عبّاس في إنجاز كتابه على المنهج التّاريخي وهو ما عبّر عنه بالتّدرُّج الزّماني[1] "سيأتي بيانه في المبحث الرّابع من هذا الفصل".

وبهذه العناصر استطاع إحسان عبّاس أن يصنع مقدّمة نجحت في توضيح أهدافه من خلال هذا المنجز وتبيين مضمون هذا الأخير، ولابدّ أن نشير هنا إلى أنّ هذه العناصر مستقاة من تمهيده

[1] – إحسان عبّاس ، تاريخ النّقد الأدبي ، ص11.

الذي قدَّم به لكتابه في طبعته الأولى عام 1971م، بالإضافة إلى مقدِّمتي الطَّبعتين الجديدتين الّتي بيَّن فيهما التَّعديلات التّي سيأتي ذكرها في بداية المبحث التَّالي .

-العتبة الثَّالثة: الفهرس .

الفهرس -بالكسر- طبقًا لما جاء في القاموس المحيط الكتاب الذي تجمع فيه الكتب[1]، وهو بلا شكّ من أوَّل العتبات الّتي يطَّلع عليها القارئ مع العنوان والمقدّمة، ولذا فهو ذو أهمِّية كبيرة في تكوين الانطباع الأوَّل عند القارئ في حلِّ أقفال هذا الكتاب، فإذا اطَّلعنا على فهرس كتاب تاريخ النَّقد الأدبي لإحسان عبّاس نجده اعتمد في فهرسه على طريقة التَّقسيم التَّاريخي، وهي الطَّريقة الّتي قام فيها ناقدنا بتقسيم كتابه من حيث تطوّر النَّقد عند العرب عبر التَّاريخ، فهذه الطَّريقة تتطلَّب النَّظر في النَّقد الأدبي وتقسيمه في ضوء الظُّروف التَّاريخيَّة الملموسة لنشوئه وتطوّره.

العناوين البارزة في فهرس الكتاب:

- الشِّعر العربيّ بين الإلهام وكدِّ القرائح.
- النَّقد في أواخر القرن الثَّاني.
- المحاولات النَّقدية في القرن الثَّالث.
- الاتجاهات النَّقدية في القرن الرَّابع : ويبرز تحت هذا العنوان ثلاثٌ أخرى رئيسية:
  - الصِّراع النَّقدي حول أبي تمَّام.
  - النَّقد والأثر اليوناني.
  - المعركة النَّقدية حول أبي المتنبِّي.
- **النَّقد في القرن الخامس:** وتحته عناوين بارزة:

-استمرار المعركة النَّقدية حول المتَّنبي.

-نظرية عمود الشِّعر في صورتها المكتَملة.

[1] – مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ، مج2 ، ص270 .

- النّقد العربي وكتاب الشّعر في القرن الخامس.
- النّقد وفكرة الإعجاز.
- النّقد الأدبي في القيروان .
- النّقد الأدبي في الأندلس .

- **النّقد الأدبي في القرنين السّادس والسّابع** :وتحته عنوانين بارزين :
  - النّقد في مصر والشّام والعراق.
  - النّقد الأدبي عند ابن خلدون ولسان الدّين بن الخطيب .

ثمّ إنّ إحسان عبّاس اعتمد –بالإضافة إلى التّقسيم التّاريخي– على التّفصيل في عرض محتويات فهرس كتابه، حيث لا نكاد نجد قضية نقدية في الكتاب إلّا وذكرها في فهرسه رغم تراكم القضايا وكثرتها، ممّا يساعد القارئ على التّوجه مباشرة إلى القضية التّي يبحث عنها، وهذا ما زاد في القيمة المنهجية والفنّية للكتاب، وهكذا كان الفهرس تقريرًا نقديًا مسبقًا على الكتاب بقلم إحسان عبّاس نفسه ومفتاحًا للقراءات والدّراسات الممكنة.

من خلال هذه العتبات نلاحظ أنّ القضايا التّي يودُّ أن يعالجها إحسان عبّاس واضحة تمام الوضوح أمام عينيه، وذلك لتمثُّله للنّظريّات النّقدية وتطوُّرها عبر القرون المدروسة، لذلك كتب في تاريخ النّقد الأدبي منجزا يعزُّ مثيله ينمُّ عن ثقافة واسعة وفكر منظَّم.

المبحث الثّالث: محتويات الكتاب ومادّته المعرفيّة.

ينتمي إحسان عبّاس إلى أولئك العلماء الذين أغنوا التُّراث العربّي بمنجزاتهم في شتّى أنواع المعرفة فقد أنجز خلال حياته أكثر من تسعين كتابًا ذكرنا بعضًا منها في سيرته، ومن أهمّ هذه الكتب كتابه هذا الموسوم بـ"تاريخ النّقد الأدبيّ عند العرب" الذي تعرّض فيه للبحث عن الموروث النّقدي العربيّ على مدى سبعة قرون، وقد كان هذا الكتاب وحيدًا في بابه على أيّامه، ولو أنّنا نعرف أنّ ثمّة محاولات أخرى سبقته، وإن لم تأخذ نفس الطّابع الّذي أُلِّف عليه هذا الكتاب تمامًا، مثل كتاب طه أحمد إبراهيم الموسوم بـ"تاريخ النّقد الأدبي من العصر الجاهلي إلى القرن الرّابع الهجري" وقد عُرِف الكتاب وشاع وملأ الأسماع بهذا الاسم وبه أشار إليه مؤلّفه وبه عرفه النُّقاد والباحثون يقول إحسان عن كتابه هذا "تاريخ النّقد الأدبي عند العرب كتاب موسوعي...وفيه عرضٌ على مدى زمنيّ طويل للحركة النّقدية عند العرب، كتبته سنة 1971م، واستغرق تفكيري في كيفيّة إنجازه سنوات طويلة" [1] "وجرى تأليفه خلال خمسة عشر عاما" [2] ونخاله كان يجمع مادّته على مهلٍ خلال هذه الفترة ثمّ بدأ يصوغها في شكلها النّهائي، وقد ظلّ هذا الكتاب يصدر في طبعات متوالية دون تغيير يذكر حتّى عام 1993م، حيث صدر في طبعة جديدة ومزيدة ومنّقحة، أتّم فيها بعض ما أغفله في الطّبعات السّابقة بسبب ظهور كثيرٍ من المصادر المعتمدة التي كانت ما تزال مخطوطة في الفترة التي مضت وقت صدور الكتاب ،ككتاب "حلية المحاضرة" للحاتمي و"المنصف" لابن وكيع و"الممتع" لابن النّهشلي وقِسم من "الفسر" لابن جنّي، و"المقامات اللّزومية "، و"نضرة الإغريض" [3] بالإضافة إلى التّغييرات التي قام بها في تعديله لهذا الكتاب والتّي تتمثّل في :

- نقل المقدّمة السّابقة وتحويلها إلى خاتمة، لأنّه حسب رأيه تكون بهذا الموضع أليق وصلتها بالخاتمة أدقّ لكونها تترسم النّتائج الكبرى لهذا الكتاب .

---

[1]– يوسف بكّار، حوارات إحسان عبّاس، ص175 .

[2] – إحسان عبّاس، تاريخ النقد الأدبيّ عند العرب، ص9 .

[3] – المرجع نفسه، ص ن.

- كتابة مقدِّمة جديدة تناول فيها أصول الإبداع الشِّعري .
- إضافة فصل عن أبي إسحاق الصَّابي ورسالته في النَّظم والنَّثر والنَّاظم والنَّاثر .
- تعديل فصل أبي العلاء المعرّي وتوسيع القول فيه .
- دراسة ابن سنان الخفاجي في مفهوماته النَّقدية وفصلها عن الكيان البلاغي العام الذي رسمه في سرِّ البلاغة.
- الجمع بين ابن خلدون ولسان الدِّين ابن الخطيب في الفصل الختامي[1].

وبهذه التَّغييرات والتَّعديلات والإضافات أصبحت هذه الطَّبعة متميِّزة عن سابقاتها سواء من حيث الشَّكل والتَّرتيب والمساحة، أومن حيث المنهج والمضمون.

ـ مادة النَّقد القديم :

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ إحسان عبَّاس حين كان يؤلِّف هذا الكتاب الموسوعي على حدِّ تعبيره، قد اعتَّمد على مصادر كثيرة وهذا ما تؤكِّده قائمة مصادر البحث في كتابه والتّي قسَّمها إلى ثلاثة أنواع:

- **مصادر المادَّة النَّقدية .**
- **مصادر عامة .**
- **مراجع حديثة.**

والذي يهمُّنا في هذه الدِّراسة تلك المنجزات النَّقدية القديمة التي اعتمد عليها هذا النَّاقد في إعداد كتابه باعتبارها لحظات حاسمة في تاريخ النَّقد الأدبيّ والّتي أطال الوقوف عندها، محاولاً تبيان ما أضافته هذه المنجزات للنَّقد الأدبيّ.

وسنذكر بعض هذه الكتب مرتَّبة حسب ما اعتمده ناقدنا في دراسته :

[1]– إحسان عبَّاس، تاريخ النقد الأدبيّ عند العرب، ص 8 .

- طبقات فحول الشُّعراء، ابن سلام الجمحي (ت 232هـ).
- البيان والتبيين ، عمر بن بحر الجاحظ (ت255هـ).
- الشِّعر والشُّعراء (مقدِّمة الكتاب)، أبو محمد ابن قتّيبة (ت 276هـ).
- عيار الشِّعر، ابن طباطبا محمد بن أحمد العلوي (ت 322هـ).
- الموازنة بين الطَّائيين، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت 370هـ).
- نقد الشِّعر، قدامة بن جعفر(حوالي 326هـ).
- الفسر في شرح ديوان المتنبّي، أبو الفتح عثمان بن جنيّ (ت 392هـ).
- المنصف، ابن وكيع التِّنيسي .
- الوساطة بين المتَّنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت 392هـ).
- شرح ديوان الحماسة "المقدِّمة "، أبوعلي أحمد بن محمَّد المرزوقي (ت 421هـ) .
- فن الشِّعر، أبوعلي ابن سينا (ت 428هـ).
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) .
- العمدة في صناعة الشِّعر ونقده، ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) .
- مسائل الانتقاد، ابن شرف القيرواني (ت460هـ).
- رسالة التَّوابع والزَّوابع، أبو عامر ابن شهيد (ت426هـ) .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجنِّي (ت684هـ) .
- المثل السَّائر، ضياء الدِّين ابن الأثير (ت637هـ) .
- المقدّمة، ابن خلدون (ت 808هـ) .
- السِّحر والشِّعر، لسان الدِّين بن الخطيب .

ولابدَّ أن نشير هنا إلى أنَّ الكتب التي أتينا على ذكرها إنَّما هي جزء بسيط من الكتب الِّتي تعرَّض إليها إحسان عبَّاس في منجزه من أصل أكثر من سبعين كتابًا تعرَّضت للدَّرس النَّقدي،كما أنَّ هناك ملاحظة عامة لا بدَّ أن ننبِّه إليها، وهي أنَّ إحسان عبَّاس حين وقف عند هذه المنجزات ترك

النُّقاد يتحدَّثون عن مواقفهم بلغتهم في أكثر الأحيان، ولم يحاول أن يترجم ما قالوه إلى لغة نقدية معاصرة، إلَّا في حالاتٍ قليلة جدًّا حين تستغلق العبارة على القارئ المعاصر[1]، وذلك لتبيان القيمة الفنِّية وحتَّى الوثائقيَّة لهذه المنجزات، ومثال ذلك عرضه لكثير من المفاهيم ونقلها حرفيّا دون تغيير، ومنه تعريف الشِّعر عند النَّاشئ وغيرها من المفاهيم النَّقدية، ثمَّ إنَّه أشار إلى كثيرٍ من القضايا ولم يحاول فيها الاستقصاء والتعمُّق لاعتماده على نباهة القارئ وسعيه الذَّاتي إلى استيضاح ما استغلق معناه وصعب فهمه .

ـ المفاهيم النَّقدية :

إنَّ أيَّ قراءة نقديَّة تتأسَّس من مفاهيم نظريَّة ولغة واصفة، فهي لغة تتحدَّث عن لغة وتتبُّع هذه المفاهيم والمصطلحات النَّقدية هو الفيصل في تقييم هذه القراءة، وإبراز فعالياتها الإجرائيَّة من عدمها فكيف اشتغلت هذه المفاهيم والمصطلحات في القراءة التّي أنجزها إحسان عبَّاس؟ وما هي المصطلحات والمفاهيم البارزة في الكتاب؟

– أثر التَّأليف في النَّقد :

يعتبر إحسان عبَّاس أنَّ التَّأليف قد خلق للنَّقد مجالا صالحا، يساعده في ذلك عامل مهمّ هو الإحساس بالتَّغير والتَّطور [2]، والّذي بدوره يُلفت ملكة النَّقد إلى أنَّ هناك مفارقة ما بين النَّماذج الشِّعريَّة عبر العصور.

–أثر الاعتزال في النَّقد العربيّ :

يرى إحسان عبَّاس أنَّ النَّقد ولد في أحضان الاعتزال "الجاحظ–بشر بن المعتمر– النَّاشئ الأكبر" والمتأثِّرين به، ومن أسس الاعتزال حينئذ الاحتكام إلى العقل، والعقل هو المرجع الأوَّل

[1] ـ إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبيّ ، ص12.

[2] ـ المرجع نفسه، ص647 .

في التّذوُّق، ممَّا أدَّى إلى أن يسلك النَّقد طريقًا وسطًا لا تفضيل فيها لقديم على محدث أو العكس، وإنَّما هناك محض الحسن أو القبح عل حدِّ تعبير المعتزلة [1].

-تطوُّر النَّقد عبر القرون :

لقد وضع إحسان عبَّاس في بدايات الكتاب نظرة عامة في مبادئ النَّقد وقواعده حتَّى أواخر القرن الثَّاني، فقال: "قضى النَّقد العربيّ مدَّة طويلة من الزَّمن، وهو يدور في مجال الانطباعية الخالصة، والأحكام الجزئيَّة الّتي تعتمد المفاضلة بين بيت وبيت أو تمييز البيت المفرد، أو إرسال حكم عام في التَّرجيح بين شاعر وشاعر، إلى أن أصبح درس الشِّعر في أواخر القرن الثَّاني الهجري جزءا من جهد علماء اللُّغة والنَّحو، فتبلورت لديهم قواعدَ أوّليَّة في النَّقد بعضها ضمني وبعضها صريح" [2] فالانطباعية الخالصة والأحكام السَّاذجة هي التي ميَّزت ملامح الطُّفولة في النَّقد العربيّ حتى أواخر القرن الثَّاني، ويقول في خاتمة هذه المقدِّمة" كان الجوُّ إذن مهيَّأً للنَّاقد الّذي تتكافأ لديه صفتا القدم والحداثة، ويهديه ذوقه إلى الجيِّد في كلِّ منهما، فلا يتحيَّز لإحداهما على الأخرى، فهل وجد هذا النَّاقد؟ ذلك ما نريد أن نتبيَّنه عند دراسة المحاولات النَّقدية في القرن الثَّالث" [3]، وهكذا تصبح قضية البحث عن النُّضج بداية من القرن الثَّالث هي قصة البحث عن التَّوازن، أو التَّكافؤ على حدِّ تعبير الدُّكتور مجدي توفيق بين ضدَّين متصارعين : القدم والحداثة[4]، وهذا ما استَّمر عليه النَّقد خلال القرن الرَّابع: يقول إحسان عبَّاس: "يمكن أن يدرس معظم النَّقد في القرن الرَّابع في ثلاثة فصول هي الصِّراع النَّقدي حول أبي تمام والنَّقد في علاقته بالثَّقافة اليونانية، ومعركة النَّقد الّتي دارت حول المتَّنبي" [5] وبالتَّالي ظلَّت الصِّراعات النَّقدية حول قضية القديم والمحدث، وهذا أيضًا ما عرفه القرن الخامس .

---

[1] ـ إحسان عبَّاس، تاريخ النقد الأدبيّ، ص 648.

[2] ـ المرجع نفسه، ص 33 .

[3]– المرجع نفسه، ص47 .

[4]– مجدي توفيق، المعرفة التَّاريخية للنَّقد العربي القديم، دار الوفاء لدنيا الطِّباعة والنَّشر، ط1، 2008، ص167 .

[5]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص116 .

يقول إحسان عبّاس: "...الذّوق الأدبي في أواخر القرن – الرّابع–كان يعاني أزمة تحوُّل، وأنَّ هذه الأزمة ستشتدُّ في القرن الخامس..." [1] فتاريخ النُّضج تميَّز بوجود طرفين متصارعين متضادَّين ينتقص كلاهما الآخر، ويصبغ على نفسه صبغة الصَّواب وامتلاك الحقيقة.

وبعد أن كان ناقدنا يفرد لكلِّ قرنٍ حظَّه من الدِّراسة على حدة نجده يسلك طريقة مختلفة عن هذه عندما وصل إلى القرنين السَّادس والسَّابع فيجمع القرنين معاً ويمنحهما اهتماما أقلّ من حيث المساحة والدَّرس، وقد سمَّى هذين العصرين في تاريخ الأدب فترة الخوف من الضَّياع [2]، ولا نحسب أنَّ كلمة الفترة جاءت عن طريق الخطأ وإنَّما وضعها النَّاقد متعمِّدا لدلالتها على أنَّ النَّقد سيصل إلى عصر يكون النَّقد فيه أدنى مقاما من سابقيه وهذا ما يؤيِّده مجدي توفيق في قوله: "لا أحسب أنَّ كلمة فترة بمعنى الحقبة قد وردت على سبيل الخطأ اللّغوي، وأراها متَّسقة مع تصوُّر الحقبة موسومة بالفتور، فهي فترة من الإبداع، بمعنى حقبة من خمود الإبداع " [3] وبناءً على ماسلف فإنَّ إحسان اعتمد على فكرة تطوُّر الكيان النَّقدي عبر القرون المتلاحقة موضِّحًا نشوء الأفكار وتطوُّرها، ورابطًا بين آراء النُّقاد واتِّجاهاتهم، مبيِّنا للتَّقليد والتَّجديد في كلِّ عصر ولدى كلِّ ناقد .

-المنعطفات الحاسمة في تاريخ النَّقد :

استخدم إحسان عبَّاس هذا المفهوم تعبيرًا عن تلك اللّحظات الّتي خطى فيها النَّقد خطوة في سبيل تبلور الأفكار والمفاهيم في منجزات معيَّنة، حيث كانت هذه المنجزات متميِّزة عن سابقاتها من حيث التَّنظير ككتاب نقد الشِّعر الّذي بدأ فيه تبلور المصطلح النَّقدي، وكتاب الموازنة بين الطَّائيين للآمدي الّذي يعتبر بداية النَّقد التَّطبيقي.

[1]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص353 .

[2]– المرجع نفسه، ص502 .

[3]– مجدي توفيق، المعرفة التاريخية للنَّقد العربي القديم، ص168 .

-الإحساس بالتّغير والتّطور:

يعتقد إحسان عبّاس أنّ الإحساس بالتّغيُّر والتّطوُّر هو العامل الخفيّ في شحذ همم كبار النُّقاد وذلك من خلال التّعمُّق في المواقف النّقدية لديهم يستوي في ذلك ابن قتيبة وابن طباطبا وقدامة والآمدي والقاضي الجرجاني وابن رشيق وعبد القاهر وابن شهيد وحازم القرطاجني وابن الأثير فإنّك لا تجد واحدا من هؤلاء إلا وهو يحسّ أنّ الشّعر في أزمة وأنّه يتقدّم بآرائه لحلّها [1].

-أثر الذّاتية والموضوعية في المدوّنة النّقدية القديمة :

لقد كان إحسان عبّاس في تأمّله التّاريخي الشّامل لحركة النّقد تضيق نفسه بسقوط النّاقد في هفوة الذّاتية، فقد بيّن حين وقوفه عند كثير من النُّقاد مدى تعصُّبهم واحتكامهم إلى الهوى في عيب مذهب الشّاعر أو تفضيله، مثال ذلك وقفته أمام رسالة أبي عمار القطربلي وبيان تعصُّبه لأبي تمّام وكذا بيان تحامل الحاتمي على المتنبّي، وبقدر ضيقه بالذّاتية في النّقد نراه يحتفل حين يرى نقدا عميقًا ومثال هذا ملاحظته على أبي هلال العسكري في كتابه الصّناعتين بأنّ كتابه"صورة عجيبة لعدم الاستقلال بأي رأي ذاتي" [2] ومضى على هذا المنهج مع كلّ من كان له رأي نقدي في أحد الصّراعات النّقدية حول شاعر ما.

[1]– إحسان عبّاس، تاريخ النّقد الأدبي، ص651.

[2]– المرجع نفسه، ص347.

المبحث الرّابع: منهج الكتاب وآليات التّحليل.

يمثّل هذا الجهد النّقدي الضّخم أهمّ محاولة في العصر الحديث تتصدّى للمدوّنة النّقدية القديمة ودراستها دراسة شاملة مستوعبة، ترصد نشأة الأفكار النّقدية وتتبّع تطوُّرها في عصورها وبيئاتها واختلاف النُّقاد حولها، أو اتّفاقهم عليها، وما من شكٍّ أنَّ هذه الموسوعة النّقدية الّتي كتبها إحسان عبّاس تنال أهمّيتها من أكثر من جانب، لعلَّ أهمَّها هذا الغرض الواضح الّذي يهدف إلى قراءة المصادر النّقدية ودراستها دراسة عميقة دقيقة تبدأ بالجزئيات وتنتهي بالقواعد العامّة والكلّيات [1] وتبيّن مقدّمته في هذا الكتاب المنهج الّذي اتّبعه في التّأليف وهو المنهج التّاريخي أو ما عبَّر عنه بالتّدرُّج الزّماني [2] فإحسان عبّاس يقف عند الجهد النّقدي العربي في ضوء ظروفه التي أنتجته ولا يحاكمه بمقاييس عامّة، أو بمقتضى صلاحيّته أو صحّته أو ملاءمته للتّطبيق . إذ يقول بوضوح في مقدّمته: "وأحبُّ أن أقرّر هنا أنَّ النّقد لايقاس دائما بمقياس الصّحة أو الملاءمة للتّطبيق، وإنّما يقاس بمدى التّكامل في منهج صاحبه، فمنهج مثل الّذي وضعه ابن طباطبا أو قدامة قد يكون مؤسّسا على الخطأ في تقييم الشّعر حسب نظرتنا اليوم، لكنّه جدير بالتّقدير لأنّه يرسم أبعاد موقف فكري غير مختل، وعن هذا الموقف الفكري يبحث دارس تاريخ النّقد ليدرك الجدّيّة والجِدّة لدى صاحبه في تاريخ الأفكار " [3] فهو يحاول من خلال هذا الكشف عن مدى تناسق أفكار النُّقاد وانسجامها في تلك العصور من خلال ما خلّفوه من آراء نقدية في منجزاتهم .

وقد اعتبر عبد القادر القطّ المنهج التّاريخي الذي اتّبعه إحسان في كتابه هذا قيدًا فرض عليه دراسة كلّ كتاب في النّقد، و ما يتّصل به من آراء في كتب غير نقدية كلٌّ على حدة، كما فرض عليه كذلك ألّا تتجمّع ملاحظاته العديدة الواعية حول قضيّة واحدة يتبنّاها الدّارس، ويرصد نشأتها وتطوّرها إلاّ أنّه استدرك وصفه لقراءة إحسان التّاريخيّة بقوله: "ومهما يكن من شأن هذا المنهج

---

[1] – ينظر: إبراهيم السّعافين، إحسان عبّاس ناقد بلا ضفاف ، ص67.

[2] – إحسان عبّاس، تاريخ النقد الأدبي، ص11.

[3] – المرجع نفسه :ص 12 .

وضروراته فإنَّ الكتاب يقدِّم إلى دارس الأدب العربي صورة كاملة دقيقة لا تقف عند كتب النَّقد وحدها، بل تجمع كثيرا من النَّظريَّات الفرعية المتَّصلة بالنّقد في كتب الفلسفة أو كتب بعيدة عن الأدب"[1] وذلك من خلال دراسته لكلِّ من كان لهم نشاط نقدي سواء كان هذا النَّقد تطبيقيّا كالآمدي والقاضي الجرجاني وابن الأثير، أو كان هذا النَّقد نظريّا من أمثال الفارابي و ابن سينا و ابن خلدون .

ويرى جابر عصفور أنَّ القراءة التَّاريخيَّة عند إحسان عبَّاس اقترنت بالنَّظرة الكلِّية الشَّاملة ويرى أنَّها تُجاوز منطق التَّاريخ إلى "التَّأريخ "والتَّأريخ هو دراسة لماضٍ ميِّتٍ مصمتٍ، ومجرَّد سرد لمعطياتٍ جامدةٍ مباشرةٍ متناثرةٍ أو متجزِّئة، بينما التَّاريخ هو إنتاج معرفة بالتُّراث العام أو قراءة شاملة لأحداثه وعلاقاته وأنظمته من شتَّى المستويات الاجتِّماعية والفكرية والسِّياسية والفنِّيَّة، فالقراءة التَّاريخيَّة عنده تحرص على استقلال موضوعها المقروء داخل علاقته الخاصَّة في عصره الخاص [2] فهو لم يطمح في هذا الكتاب إلى الكشف عن آراء النُّقاد من النَّاحية الجمالية فحسب، بل سعى جاهدا للكشف عن الآراء النَّقدية والمؤثِّرات الفكريَّة الفاعلة في هذه الأفكار والكشف عن الجذور الفكريَّة لهذه الآراء، فجاء كتابه تأريخا على حدِّ تعبير جابر عصفور، ويصف إحسان عبَّاس هذا المنهج بقوله: "وقد يكون المنهج الّذي اخترته وثائقيّا إلى حدّ، ولكنَّه متَّصل بحقيقة الشِّعر، لا بحقيقة التَّاريخ ومحمله الفكري أعمق، والقدرة فيه على اكتِشاف الفعاليات الفكريَّة و النَّفسية أرحب مجالا، ورغبـة في تجنُّب "الوثائقيَّة " المحضة، وجدتني في الغالب أقف عند النَّماذج الّتي أج ـدها ذات قيمـة فنِّية في ذاتها إلى جانب ما قد يكون لها من قيمة وثائقيَّة " [3] وهذا جليٌّ في كتابه من خلال الحقب الزَّمنية (القرون) الّتي اعتمد عليها في دراسته لتطوُّر الكيان النَّقدي، وكذلك وقوفه عند المنجزات النَّقدية

[1]– أماني حاتم بسيسو، دراسات إحسان عبَّاس وجهوده في النَّقد العربي، دار فضاءات، عمان، ط1، 2011، ص299.

[2] – المرجع نفسه، ص299.

[3]– إحسان عبَّاس، اتجاهات الشِّعر المعاصر، المجلس الوطني للثَّقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1978، ص12.

الّتي تمثّل منعطفات هامّة في تاريخ النّقد الأدبي كالآمدي الّذي اعتبرت موازنته البداية الفعليّة للنّقد التّطبيقي .

وإذا كان ناقدنا قد وقف أمام هذا الكيان النّقدي من خلال رؤية شاملة في ضوء العصور والبيئات فإنّه لخّص على امتداد عقود عديدة "النّقد الأدبي عند العرب"، وقد جمع كتبا في كتاب، وممّا يلفت القارئ أنّ تأليف الكتاب استغرق خمسة عشر عاما، وظلّ يصدر في طبعات متوالية، من دون تغيير يذكر إلى أن صدر في طبعة "جديدة ومزيدة ومنقحة" عن دار الشّروق بعمّان عام 1993 استوفى فيها الرّاحل بعض ما كان ينقص الطّبعات السّابقة من حيث التّرتيب والمساحة والشّكل . ويضيف أنّ الكتاب جاء على درجة كبيرة من الأهمّيّة من حيث المنهج والمضمون، حيث نقل المقدّمة من أوّل الكتاب إلى آخره، وجعلها نظرة ختامية في خلاصة بحثه المستفيض في تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، واستبدل بهذه المقدّمة مقدّمة جديدة تمثّل صورة من صور التّطوّر النّقدي وقضاياه الكبرى، والّتي كان عنوانها: "الشّعر العربي بين الإلهام وكدّ القرائح [1]، وغير هذا من التّعديلات التي تؤكد على أنّ إحسان عبّاس يسعى إلى بناء كيان للنّقد العربي حسب المنهج الذي ارتآه مناسبا لتحقيق هذه الغاية.

إنّ إدراك إحسان عبّاس لقيمة الاحتكام إلى التّاريخ جعلته يلتزم به كناقد، وكان هذا الاحتِكام ميزةً وفّرتها له ثقافته النّقدية الواسعة والمعمّقة، ومنها قراءته للتّاريخ واعتماده لفهم النّصّ الأدبي وبهذا تكون دراسته للتّاريخ معلما في فهم منهجه النّقدي الّذي تميّز به، ويكشف عن هذا قوله في مقدّمة كتابه "بدر شاكر السيّاب":" أنا أعلم أنّ كثيرا من النّاس يضيقون ذرعا بالاحتكام المستمرّ إلى التّاريخ، ولكنّ هؤلاء ينسون أنّ التّاريخ صورة الفعل الإنساني والإرادة الإنسانيّة على الأرض، وأنّ دراسة الشّعر على مجلى من الحقائق التّاريخيّة لا تعني انتقاصا من سماته الفنّيّة، خصوصًا حين يتّفق الدّارس والقارئ على أنّ ذلك الشّعر كان جزءًا من الحركة الكلّية في التّطوّر الجماعي، بل كان عاملا

[1] – إحسان عبّاس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 12.

هامًّا في تلك الحركة، ولم يكن كلُّه تهويما في دنيا الأحلام الذّاتية "[1] فممَّا سلف يظهر أنَّ المنهج الّذي اعتمده هذا النّاقد – رغم المؤاخذات الّتي سجّلت عليه في مواكبته و مجاراته لروح العصر– لم يكن ذا سيطرة على النّاقد أن تجعله منقادا نحو ما يسمى بالحتمية التّاريخية .

يقدِّم لنا إحسان عبّاس في هذه الدِّراسة مرجعا بالغ الأهمِّية يتيح سندا عظيما للاستعانة بالماضي في سيرورة تراكم المعرفة، وقد كان مشغولًا و مهتمًّا بالأمرين معا، و قد لا يغني أيُّ عرضٍ مهما يكن واسعاً وعميقًا عن قراءة هذا المنجز النّقدي والإستعانة به.

[1] – إحسان عبّاس، بدر شاكر السيّاب دراسة في حياته وشعره، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 4، ص4.

الفصل الثالث

دراسة تقويمية

الكتاب

المبحث الأوَّل: أهمّ القضايا الكبرى في الكتاب .

إنَّ حديثنا عن القضايا الكبرى في كتاب "إحسان عبَّاس"، هو حديث عن تلك الموضوعات النَّقدية التِّي أولاها النُّقاد اهتماما كبيرا، وقد عالجتها كتب النَّقد قديما وحديثا، وهي من الكثرة حتَّى لا يمكن حصر الكلام عنها في مجلدات، ناهيك عن بحث في هذا الحجم، وقد اقتصرنا على تلك القضايا العامة التِّي هي معروفة عند كلِّ من كانت له علاقة بالنَّقد العربي من خلال أهمّ الآراء النَّقدية التِّي احتوتها هاته القضايا، والمنجزات النَّقديَّة التِّي تعرَّض لها الكتاب بالدَّرس والنِّقاش وقد اقتصرنا على خمس قضايا تمثَّلت في :

-القديم والمحدث :

لا يزال الصِّراع بين القديم والمحدث قائماً فكلَّما جاء جيل رأى في الّذي قبله أنَّه لا يزال متأخِّراً، فيحاول أن يجدِّد في كلِّ ما هو مألوف ليتماشى وروح العصر، وهكذا كان الشَّأن بالنِّسبة للأدب العربي منذ "بدأ في شكل التَّعصُّب للقديم الجاهلي ثمَّ الأموي من جانب بعض الرُّواة الأوائل وتلامذتهم من النُّقاد اللّغويين إلى أن تحوَّلت إلى دعوة لإنصاف المحدث على يد ابن قتيبة وبعض معاصريه من النُّقاد، الّذين نادوا بتحكيم النَّظرة الموضوعية في نقد الشِّعر، ودعوا إلى استقلال الأثر الشِّعري عن عصره وقائله، وإحلال مقياس الجودة أو الرَّداءة في نقده محلّ مقياس العصر والزَّمن ."[1]، وقد تناول "إحسان عبَّاس" هذه القضية في منجزه هذا وبيّن آراء النُّقاد القدامى فيها عند وقوفه عند مؤلَّفاتهم حيث نجد هؤلاء النُّقاد في غالبيتهم كانوا أصحاب نظرة توفيقية في النَّقد، فنجد "أبو العبَّاس المبرِّد" من أوائل من كانت لهم نظرة توفيقية في هذه القضية إذ يعتبر "إحسان عبَّاس" أنَّه صريح في موقفه التَّوفيقي، إذ يستشهد بقول "المبرِّد" نفسه في كتابه الكامل حيث يقول:"وليس لقدم العهد يفضل القائل، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب، ولكن يعطي كلَّ ما يستحقّ" [2] "وقد التقى حول

[1]– عثمان موافى، الخصومة بين القدماء والمحدثين في النَّقد العربي القديم (تاريخها وقضاياها)، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص6.

[2]– أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد المبرِّد، الكامل في اللغة والأدب ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج1، ط3، دار الفكر العربي – القاهرة ، 1997، ص28.

هذه النَّظرة أناس ذو مشارب متباينة، فيهم اللُّغوي المشبَّع بروح القديم كـ"أبي العبّاس المبرّد"، والمتكلِّم المتأثِّر بشتَّى الثَّقافات كـ"الجاحظ"، وذو الثَّقافة الإسلامية الخالصة كـ"ابن قتيبة" والشَّاعر المحدث كـ"ابن المعتزّ"، وسواء صرَّح هؤلاء النُّقاد بالتَّعبير عن موقفهم التَّوفيقي أو لم يصرِّحوا فإنَّ ميدان اهتمامهم الشِّعري يجعل عدَّهم معاً في نطاق هذا الاتِّجاه أمراً لا يحتاج جدلاً، غير أنَّ دور كلّ منهم في النَّقد تجاوز هذا الموقف العام إلى آراء ونظرات نقديَّة هامَّة "[1] فنجد الجاحظ صريحاً في نظرته التَّوفيقيَّة إذ يرى "إحسان عبَّاس" "بأنَّ "الجاحظ" كان توفيقيَّ النَّظرة لا يعتقد بتفضيل قديم على محدث "[2] ويستدل إحسان عبَّاس على صراحة الجاحظ بقول هذا الأخير في كتابه الحيوان إذ يقول:"وقد رأيت أناساً منهم يبهرجون أشعار المولَّدين ويستسقطون من رواها، ولم أر ذلك قطّ إلَّا في راوية للشِّعر غير بصير بجوهر ما يروي، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيِّد ممَّن كان، وفي أيِّ زمان كان"[3]، وقد وصفه "إحسان عبَّاس" بالشَّجاعة في موقفه هذا إذ يقول فيه:"بل إنَّ الجاحظ كان أشجع التَّوفيقيين عامَّة حين ذهب يفضل قصيدة لأبي نوَّاس على قصيدة لمهلهل في الشَّاعريَّة "[4] أمَّا ابن قتيبة فقد كانت فكرة التَّسوية أبعد تسلُّطاً على مفهوماته ممَّا هي لدى الجاحظ وقد رأى إحسان عبَّاس أنَّ "النَّاقدين يشتركان في المذهب التَّوفيقيّ الَّذي يريد أن يجعل الجودة مقياسا للشِّعر دون اعتبار للقدم والحداثة "[5]، ثمَّ يبيِّن إحسان عبَّاس أنَّ ابن قتيبة كان أبين في التَّعبير عن هذا الموقف وأكثر إسهابا، ثمَّ يفترقان في مواقف أخرى لأنَّ "الاعتدال عند ابن قتيبة قد بسط ظلَّه على نظرته عامَّة، ومن أبين الفروق بيّنهما اختلافهما في النَّظر إلى مشكلة اللَّفظ والمعنى فبينما انحاز الجاحظ إلى جانب اللَّفظ ذهب ابن قتيبة مذهب التَّسوية "[6]، ولعلَّ هذه المقارنة بين هذين الموقفين

---

[1]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص77.

[2]– المرجع نفسه، ص83.

[3]– أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان تح :عبد السَّلام محمّد هارون، ج 3، ط2، مطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده مصر، 1965، ص130.

[4]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص83.

[5]– المرجع نفسه، ص95.

[6]– المرجع نفسه، ص95.

هي إحدى المقارنات التّي تميَّز بها منهج إحسان عبَّاس في إقامته لكيان النَّقد العربي القديم مع أسلوب خاص في العرض والجدال.

وهكذا ظلَّ جلَّ النُّقاد بعد "ابن قتيبة" و" الجاحظ" لا يرونَ للمتقدِّمين فضلاً على المحدثين لمجرَّد تقدُّمهم وسبقهم، ولا تكتسب معانيهم فضيلة لمجرَّد ذلك، فإذا كان للقدماء فضيلة السَّبق إلى بعض المعاني، فإنَّ للمتأخِّرين فضيلة الزَّخرفة والتَّزيين والتَّجميل، ثمَّ إنَّ المتأخِّرين قد أضافوا إلى المعاني كثيرًا من الاختراعات والزِّيادات اللَّطيفة.

-الطَّبع والصَّنعة :

إن قضيَّة الطَّبع والصَّنعة قضيَّة في الفكر الإنساني، شغلت مكاناً بارزًا في النَّظريَّة الشِّعريَّة لصلتها الوطيدة بتحديد مفهوم الشِّعر، وتوضيح كثير من قضاياه، وقد أثيرت هذه القضَّية منذ العصر اليوناني، ثمَّ انتقلت إلى العرب فكتبوا فيها بحوثا مستفيضة تحدَّثوا فيها عن معاييرها الجماليَّة التّي تعدُّ من أهمِّ مقوِّمات العمل الأدبي، وقد رأى بعض الباحثين "فيها قضيَّة الخلق الشِّعري بمعناه النَّفسي"[1] ومن الباحثين من يرى "أنَّ مفهوم الصَّنعة هو المفهوم الغالب على الطَّبع في النَّقد القديم" [2] وأدقُّ محاولة في تفسير هذين المفهومين كانت محاولة "عبد القادر القطّ" بعد استقرائه لنصوص النَّقد القديم فأنَّ "كلمة الطَّبع تعني الارتجال والتَّكلُّف -الصَّنعة- تعني التَّأمُّل " [3]، فيفهم من كلامه أنَّ بعض الشّعراء كان يختلفون في كيفية إنتاج قصائدهم فمنهم من يرتجل في شعره ومنهم من يتكلَّف في صناعته.

ولما أدرك إحسان عبَّاس هذه القضيَّة تصلح لأن تكون مدخلاً لجميع قضايا النَّقد الأدبي آثر أن يفرد لها حيِّزاً خاصًّا في مقدِّمة الطَّبعة الجديدة لكتابه عام 1993م، والتّي كانت تحت عنوان " الشِّعر العربي بين الإلهام وكدِّ القرائح "فقد عرض في هذه المقدّمة "الأفكار النّظريَّة التّي صدرت عن

---

[1]– مجدي أحمد توفيق، مفهوم الإبداع الفنِّي في النَّقد العربي القديم، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، 1993، ص291.

[2]– المرجع نفسه، ص292.

[3]– مجدي أحمد توفيق، مفهوم الإبداع الفنِّي في النَّقد العربي القديم، ص293.

النُّقاد والمبدعين العرب في ضوء نظريَّة الإلهام بدءًا بأفلاطون ونظريَّة الصَّنعة بدءًا بأرسطو "[1] ساعده في ذلك قراءته وثقافته النَّقديَّة الواسعة التّي تعينه في ملاحظة تطوُّر الأفكار والنَّظريات النَّقدية، كما أنَّ اطِّلاعه على الثَّقافة النَّقدية الغربية وتاريخ تطوُّر الأفكار فيها مكناه من المقارنة بين فكرة الإلهام عند اليونان القائمة على ربَّات الشِّعر وفكرة شياطين الشِّعر، وعلّق هذه الفكرة بمفهوم الشِّعر نفسه وليس للبيئة الخصبة عند اليونان أو البيئة الصَّحراوية عند العرب أي تأثير في هذه النَّظرية فيحاول تفسير هذه الفكرة بقوله: "ليس يعود العزوف عن الرَّبَّات واختيار الشَّياطين إلى الفرق بين الطَّبيعة الصَّحراوية والطَّبيعة الخصبة، ولا إلى الفرق بين الذَّكر والأنثى، ولكن يبدو أنَّ لذلك أسبابًا أخرى تتعلَّق بمفهوم الشِّعر نفسه " [2] وقد وقف "إحسان عبَّاس" عند المفاهيم التّي تتعلَّق بالصَّنعة من مثل الكدّ في التَّنقيح والتَّسوية وخلص إلى أنَّها نوعان، وحاول أن يبيِّن المصطلحين، وكشف مفهومهما وحدودهما.

وبوعي تاريخيّ شامل يتتبَّع "إحسان عبَّاس" هذه القضيَّة في المدوَّنة النَّقدية العربيَّة ويقف عند كلِّ من كان له رأي فيها، فنجده يقف عند ابن قتيبة، فيلاحظ عليه استعمال لفظتي الطَّبع والتَّكلُّف بمدلولات مختلفة "وقد خفي على الدَّارسين المحدثين أنَّ قلَّة المصطلح النَّقدي لدى"ابن قتيبة" جعلته يستعمل هاتين اللَّفظتين بمدلولات مختلفة " [3]، إذ يقول ابن قتيبة: "فالمتكلِّف من الشُّعراء هو الّذي قوَّم شعره بالثِّقاف ونقَّحه بطول التَّفتيش وأعاد فيه النَّظر بعد النَّظر..." [4] "والمطبوع من الشُّعراء من سمح بالشِّعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه وفي فاتحته قافيته، وتبيَّنت على شعره الطَّبع ووشي الغريزة وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر" [5] وهذا معناه في رأي ناقدنا أنَّ الطَّبع يشمل القول على البداهة مثلما يشمل "الصَّنعة الخفيَّة "التي لا تظهر على وجه الأثر الفنِّي .

---

[1]– إبراهيم السَّعَّافين، إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف، ص68.

[2]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص22.

[3]– المرجع نفسه، ص97.

[4]– ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء، تح :أحمد محمَّد شاكر، دار التَّوفيقية للكتاب، ط1، 2010، ص77.

[5]– المرجع نفسه، ص88.

وحين وقف إحسان عبَّاس عند صاحب الوساطة رأى بأنَّه عاد إلى ذلك الموضوع الّذي أثاره ابن قتيبة فالطَّبع عنده يعني "الموهبة الشِّعرية، فالموهبة وحدها لا تجدي إلّا إذا انضافت إليها الرِّواية وحاجة المحدث إلى الرِّواية أشدُّ من حاجة غيره " [1] وحين وقف "إحسان عبَّاس" عند مقدّمة شرح الحماسة للمرزوقي رأى بأنَّه أتى بمفهوم جديد لهذه القضيَّة وأنَّه "عدل عن قسمة ابن قتيبة للشِّعر في مطبوع ومتكلِّف فسمَّى القسمين المطبوع والمصنوع" وخلص في الأخير إلى أنَّ هذه التَّفرقة "رغم غموض كلِّ ما يتَّصل بفكرة الإبداع الفنِّي – حتَّى اليوم – من أدَقِّ ما جاء به النَّقد العربي "[2].

هذا الذّي أشرنا إليه من أشهر الآراء التّي توقَّف عندها "إحسان عبَّاس" أثناء تتبُّعه لحركة تطوُّر النَّقد، أمَّا بعد المرزوقي، فقد أصبحت قضيَّة الطَّبع والصَّنعة معروفتين، لكثرة ما جاء فيهما من حديث نقدي، واكتفى أغلب النُّقاد بإعادة صياغة الآراء السَّابقة دون أي محاولة للإضافة في هذا الموضوع.

اللَّفظ والمعنى :

في تحديد مفهوم اللَّفظ والمعنى:

اللّفظ وفقا لما ورد في لسان العرب: " لفَظْتُ الشَّيْءَ مِنْ فَمِي أَلفِظُه لَفْظاً رَمَيْتُهُ [3]."و"لفظ بالشَّيء يلفظ لفظا: تكلَّم، ولفظت بالكلام وتلفَّظت به: تكلَّمت به، واللَّفظ واحد الألفاظ وهو في الأصل مصدر " [4] وجاء في كتاب التَّعريفات للشَّريف الجرجاني "المعنى: ما يقصد بشيء"[5].

وقد أسالت هذه القضية الحبر الكثير ذلك لأنَّها على رأس قائمة المشاكل والقضايا النَّقدية التّي اهتمَّ النُّقاد قديما بمعالجتها وقد اختلفت الآراء فيها وتنوَّعت بين من يحتجُّ للّفظ ويتعصَّب له، وبين

---

[1]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص 320.

[2]– المرجع نفسه،ص.ن .

[3]– جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ص 461 .

[4]– أحمد مطلوب، معجم النَّقد العربي القديم، دار الشّؤون الثَّقافية العامة بغداد، 1989، ج2، ص222.

[5]–علي بن محمَّد بن علي الزّين الشّريف الجرجاني، كتاب التَّعريفات، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1983، ص220.

من يحتجّ للمعنى ويتعصَّب له، وقد كان لإحسان عبَّاس آراء ووجهات نظر حول ما كتب في هذه القضيَّة في المدوَّنة النَّقدية القديمة عند العرب سنشير إلى أهمِّها ونغفل بعضها لأنَّ المقام لا يسعنا لتناولها كلّها .

إنَّ أوَّل ما يقف عنده "إحسان عبَّاس" في هذه القضيَّة كانت مع "أبي العبَّاس المبرِّد"، فقد لاحظ "إحسان عبَّاس" عليه أنَّه أشار إلى هذه القضيَّة أثناء اختياره للأشعار غير أنَّه لم يتناولها بشيء من التَّفسير، إذ يقول: "وقد ألمح المبرد أثناء اختياره للأشعار إلى موقفه من قضيَّة اللّفظ والمعنى، غير أنَّه لم يتناول تلك القضيَّة بشيء من التَّفسير، فالشِّعر لديه مستحسن أحيانا لصحة معناه وجزالة لفظه وكثرة ورود معناه بين النَّاس أو لقرب

مأخذه أو لسهولته وحسنه، أو لغرابة معناه وجودة لفظه، أو لخلوصه من التَّكلف وسلامته من التَّزيُّد "[1] وقد كان المبرِّد ابن عصره لا يميِّزه بصر نافذ عن غيره من نقاد عصره.

وقد اتَّفق إحسان عبَّاس مع الكثير من الباحثين على أنَّ البداية الأولى للتَّنظير لهذه القضيَّة كانت مع الجاحظ الّذي هو في نظر الكثير من الباحثين متحيِّز للشَّكل على حساب المعنى مستندين إلى مقولته الشَّهيرة: "والمعاني مطروحة في الطَّريق يعرفها العجمي والعربيّ، والبدويّ والقرويّ[والمدني]* وإنَّما الشَّأن في إقامة الوزن، وتخير اللّفظ، وسهولة المخرج، [وكثرة الماء] وفي صحَّة الطّبع وجودة السَّبك "[2] وقد بيَّن إحسان عبَّاس هذا بقوله: "وبهذا التَّحيُّز للشَّكل قلَّل من قيمة المحتوى" [3] ثمَّ بيَّن إحسان عبَّاس سبب اتِّجاه الجاحظ هذا الاتِّجاه مع أنَّه لم يكن من الشَّكليين في التَّطبيق، ثمَّ بيَّن تناقض مواقف وآراء الجاحظ من الشَّكل .

---

[1]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص82.

* هكذا وردت في المصدر .

[2]– الجاحظ، الحيوان، ج3، ص131 .132.

[3]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص88.

وعند وقوفه لدى ابن قتيبة يراه متأثِّرا بالجاحظ، إلَّا أنَّه "تأثُّر مقيَّد، إذ يتبنَّى بعض آرائه في حين يحمل عليه بشدَّة، لأنَّه ينتصر للشّيء وضدَّه ويقصر على النَّاحية المذهبية دون سواها ويشترك الجاحظ وابن قتيبة في جعل الجودة مقياسا للشِّعر دون اعتبار القدم والحداثة " [1]، وقد رأى ابن قتيبة أنَّ الشِّعر أربعة أضرب[2]:

- لفظ جيِّد ومعنى جيِّد .
- لفظ جيِّد ومعنى رديء .
- لفظ رديء ومعنى جيِّد .
- لفظ رديء ومعنى رديء .

وقد استعمل "إحسان عبَّاس" لفظ الجودة والرَّداءة وإن كان "ابن قتيبة" لم يستعملهما وإنَّما استعمل أحيانا لفظ "ضرب حسن لفظه فإن فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى " أو "ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه "ولعلَّ عدم استعمال ابن قتيبة للفظتين حاسمتين في الدّلالة هو رغبته في الابتعاد عن الحدَّة التّي تنجم عن ذلك، ثمَّ إنَّ "إحسان عبَّاس" قد لاحظ اختلاف كلّ من "الجاحظ" و"ابن قتيبة" في قضيَّة اللَّفظ والمعنى "فبينما انحاز الجاحظ إلى جانب اللّفظ ذهب ابن قتيبة مذهب التَّسوية "[3] ذلك الجاحظ رأى بأنّ المعاني مطروحة في الطَّريق والفضل فيها لمن أجاد استعمال أفضل الألفاظ لأحسن المعاني، أما ابن قتيبة فذهب إلى مذهب المشاكلة والتَّسوية، والسَّبب في ذهاب "ابن قتيبة" مذهب التَّسوية هو نظرته التَّوفيقيَّة التّي ميّزت آراءه النَّقدية .

وعند وقوف "إحسان عبَّاس" عند "ابن طباطبا" وفهمه للقضيَّة "يلاحظ التَّذوُّق الخالص بعيدًا عن التَّقسيم العقلي المنطقي الّذي تجلَّى سابقا لدى "ابن قتيبة"، فنراه يتحدَّث عن لذَّة الشِّعر" [4] إذ

---

[1]– إبراهيم السَّعافين، إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف، ص74.

[2]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص96.

[3]– المرجع نفسه، ص95.

[4]– إبراهيم السَّعافين، إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف، ص78.

يقول: "هاهنا موقف لا بدَّ من أن يستوقفنا في تاريخ النَّقد العربي وهو الإلحاح على فكرة المتعة المترتِّبة على الجمال في الشِّعر وتعريف العلَّة الجمالية بأنَّها الاعتدال دون أي عامل آخر، حتى لقد نعد "ابن طباطبا" واحدا من النُّقاد الجماليِّين في هذا الموقف، ولكن سرعان ما تصبح هذه المتعة نفسها وسيلة أخلاقيَّة لأنَّ الحالة اللّذّية التّي يقع فيها المتلقِّي تتجاوز فائدتها الاستماع بالجمال، إذ تصبح في نفاذها إلى "الفهم"كقوَّة السِّحر، ويكون أثر الشِّعر الجميل عندئذ أن يسلّ السَّخائم ويحلّ العقد ويسخي الشَّحيح يشجع الجبان، ومع أنَّ النَّاقد يربط بين الغايتين اللذية والأخلاقيَّة فأنَّه أكثر جنوحا إلى تأكيد المتعة الخالصة، لأنَّها هي التّي تتحقَّق في الفهم أوَّلاً " [1]، وهذه القراءة قد مثَّلت أحد النَّماذج المعبِّرة عن المواقف النَّقديَّة المستوعبة والواعية والمقارنة لهذا النَّاقد الفذّ .

وقد لاحظ "إحسان عبَّاس" عند وقوفه عند كتاب نقد الشِّعر لـ"قدامة"، أنَّ هذا الأخير يهتمُّ بالشِّعر دون الشَّاعر "وهذا ما جعله لا يحتفل بالسَّرقات وكأنَّه يرى المعاني كما رأى الجاحظ من قبل – مطروحة في الطَّريق– ولم يلتفت إلى قيمة الأسبقيَّة ما دام اهتمامه منصبًّا على جودة الأداء " [2] كما أنَّ "إحسان عبَّاس" بيَّن أنَّ "قدامة" قد اهتمَّ بإخضاع المعاني إلى التَّقسيمات المنطقيَّة، متأثِّرا بالفلسفة والمنطق اللّذان هما جزء من ثقافته.

وقد احتلَّ اللفظُ والمعنى عند نقَّاد عمودِ الشِّعر مكانةً رئيسيَّة، حيث نجدهما على رأس أبواب عمود الشِّعر عند كلّ من "الجرجاني" و"المرزوقي" الذي كان الثَّاني منهما آخر حلقة في تطوُّر هذه النَّظريَّة حيث يذكر حدودها والذي يهمُّنا منهما الحدَّين الأوَّلين وهما :

– شرف المعنى وصحّته .

– جزالة اللّفظ واستقامته .

ويضع لكلٍّ حدٍّ عياراً فيقول في اللّفظ: "وعيار اللّفظ الطبعُ والرِّوايةُ والاستعمال، فما سلِم ممَّا يُهجِّنهُ عند العرضِ عليها، فهو المختارُ المستقيم "ويقول في المعنى: " فعيارُ المعنى أن يُعرَضَ على

[1]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص129.

[2]– إبراهيم السَّعافين، إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف، ص85.

العقل الصَّحيح، والفهم الثَّاقب، فإذا انعطف عليه جَنْبَا القبولِ والاصطفاء، مُستأنِسًا بِقَرَائنه، خرج وافيًا، وإلا انتقض بمقدار شَوْبِهِ ووحْشَتِه [1] وقد ناقش "إحسان عبَّاس" "المرزوقي" في هذه القضيَّة ولخَّص موقفه في قوله:"ومحصَّل موقف المرزوقي أنَّه لابدَّ من الائتلاف بين اللَّفظ والمعنى ائتلافا تامّاً"[2]

ثمَّ بيَّن أنَّ المرزوقي لم يتنبَّه في فهمه هذا لجانبي اللَّفظ والمعنى "أنَّ كلَّ معنى قد يمكن التَّعبير عنه في ثلاثة أنواع من المبنى، وأنَّه لو سئل أيّ هـذه المبـاني أشـدّ وفـاءً بالمعـنى لم يستطـع الإجابـة أو لتهرَّب منها باللّجوء إلى اختـلاف الأذواق " [3] وهكـذا كـان تنـاول إحسـان عبَّاس لهذه القضيَّة في محاولة إعطاء كلّ جهد نقديّ حقَّه من التَّعديل أو التَّجريح .

أمَّا عبد القاهر الجرجاني فقد ارتبطت آراؤه النَّقديَّة بفكرة الإعجاز وقد خصَّص له حيِّزاً مستقلاً تناول في منجزه الرَّائع. وقد وصف "إبراهيم السَّعافين" تحليل "إحسان عبَّاس" لقضيَّة اللَّفظ والمعنى عند "عبد القاهر" بالذَّكاء الشَّديد إذ يقول "إبراهيم السَّعافين": "وقد حلَّل "إحسان عبَّاس" بذكاء شديد حملة "الجرجاني" على المنحازين إلى اللَّفظ والمنحازين إلى المعنى معا وقد قام –عبد القاهر– بتوجيه الجاحظ في نظريَّة المعاني مطروحة في الطَّريق فوجه رأي "الجاحظ"، كما يقول "إحسان عبَّاس" :"توجيها ملائما لما نعتقد أنَّ "الجاحظ" رمى إليه :فمصطلح المعنى كما استعمله "الجاحظ" ذو دلالة دقيقة وهو في رأي "الجرجاني" إنَّما يتحدَّث به عن الأدوات الأوَّليَّة وتفسيراً لذلك يقارن بين الكلام ومادَّة الصَّائغ..."[4] وقد كان لتأخُّره زمنيًّا عن كلّ المذاهب الأثرُ الإيجابي في اطِّلاعه على مختلف الآراء النَّقديَّة التّي قيلت حول هذه القضيَّة حيث "اجتمعت لديه آراؤهم وأفاد مِن خبرتِهم، ولكنَّه تجاوزهم إلى رأي خاص، وكانت له في هذا المجال أصالة وتعمُّق، وكان صاحب مدرسةٍ في النَّقد، أدرك فيها ما لم يُدرِك النُّقاد "[5].

هذه الإطلالةَ المتواضعة على بعض آراء إحسان عبَّاس حول نقَّاد كانت لهم آراء ناضجة حول إشكالية اللّفظ والمعنى، وأمَّا ما جاء بعد عبد القاهر الجرجاني من آراء للنّقاد حول هذه المشكلة فقد

---

[1]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص413.

[2]– المرجع نفسه، ص411.

[3]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص ن.

[4]– إبراهيم السَّعافين، إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف، ص110.

[5]– مصطفى عبد الرحيم إبراهيم، في النَّقد الأدبي القديم عند العرب. مكة للطباعة 1998. ص198.

تفاوتت أطروحاتهم فيها بين منحاز للفظ وبين منحاز للمعنى وبين معتدل بينهما يرى بالتَّناسب والمشاكلة .

السَّرقات الشِّعرية :

في تحديد مفهوم السَّرقة:

تعرَّف السَّرقة في اللُّغة بأنها اسم من: سرق منه الشَّيء يسرق سَرَقاً، واسترقه: جاء مستتراً إلى حرز فأخذ مالا لغيره[1] وسرقه أخذ ماله خفية [2] أمَّا اصطلاحا فهي الأخذ من كلام الغير، وهو أخذ بعض المعنى أو بعض اللَّفظ سواء أخذ لقديم أو معاصر "[3] وقد كان استعمال هذا المصطلح ناتجا عن تلك الصِّراعات التّي كانت تدور حول الشُّعراء وتحكم الأهواء والآراء الذَّاتيَّة التّي تحكَّمت في سيرورة وتطوُّر هذه القضيَّة .

تاريخ السَّرقات وأسباب نشأتها :

لقد احتلت هذه القضيَّة في كتب النَّقد والبلاغة مكانة مرموقة، لارتباطها بالأخلاق في فكرنا الإسلامي وقد انعكس هذا التَّوجه على مفهومها وطبيعتها الاصطلاحية. وهذه القضيَّة "مسألة خطيرة لا لأنَّها شغلت النُّقاد من العرب أكثر مما شغلتهم مسألة أخرى، وخاصَّة منذ ظهور أبي تمَّام وقيام الخصومة حوله، بل لأنَّها أيضا تتناول أعمَّ ما تسعى إليه الدِّراسات الأدبيَّة ألا وهو أصالة كلّ شاعر أوكاتب، ومبلغ دَينه نحو من سبقه أو عاصره من الكتَّاب أو الشُّعراء" [4] وترتبط "هذه القضيَّة بسابقتها لأنَّها تقوم عليها وإن بدت تضرب إلى أبعد من أواخر القرن الثَّالث الهجري حينما ظهرت قضيَّة اللَّفظ والمعنى على مسرح النَّقد" [5] وقد اختلف النُّقاد في الفترة التّي بدأ فيها الاهتمام بهذه

---

[1]– الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرِّسالة، بيروت، ط8، 2005، ص 893.

[2]– (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النَّجار)، المعجم الوسيط، دار الدَّعوة، ص427 .

[3]– بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدة، ط3، 1993، ص275 .

[4]– محمَّد مندور، النَّقد المنهجي عند العرب، ص357.

[5]– محمَّد زغلول سلام، تاريخ النَّقد الأدبي والبلاغي حتى القرن الرَّابع الهجري، ص70.

القضيَّة ودراستها دراسة منهجية إلى فريقين الأوَّل يرى أنَّها لم تظهر إلى مع بزوغ نجم أبي تمَّام ومنهم محمَّد مندور الذّي علَّلها بسببين هما :

– قيام خصومة عنيفة حول هذا الشَّاعر، ومن الثَّابت أنَّ مسألة السَّرقات قد اتَّخذت وسيلة للتَّجريح .

– عندما قال أصحاب أبي تمَّام إنَّ شاعرهم اخترع مذهبا جديدا وأصبح إماما فيه، لم يجد خصوم هذا المذهب سبيلا إلى ردّ ذلك الادّعاء خيرا من أن يبحثوا عن سرقات هذا الشَّاعر ليدلوا على أنه لم يجدد شيئا [1].

في حين نجد الفريق الثَّاني يرى بأنَّ الدِّراسة المنهجيّة لهذه القضيّة "قد ظهرت قبل الحركة النَّقدية حول أبي تمَّام فأوَّل كتاب ألّف في السَّرقات كتاب "سرقات الكميت من القرآن غيره "لمحمَّد عبد اللّه بن يحي المعروف بابن كناسة" [2] كما هو الحال عند مصطفى هدَّارة الذي ناقش رأي مندور الأوَّل وبيّن ما فيه نقص [3] إلا أنَّ " إحسان عبَّاس" يعيدها إلى بداية ظهور التَّجديد في الشِّعر عموما، ولا يصرّح بأيِّ شاعر قد ارتبطت به هذه القضيّة إذ يقول :"وبما أنَّ قضيّة السَّرقات كانت من نصيب الشَّاعر المحدث لذلك نجد أكثر الكتب المؤلّفة في هذه المشكلة إمَّا أنَّها عن سرقة المعاني عامّة، أو أنَّها تخصّص لهذا أو ذاك من الشُّعراء المحدثون " [4] وبهذا الذي قاله إحسان عبَّاس يمكن إدراجه في نطاق الفريق الثَّاني.

آراء إحسان عبَّاس في قضيَّة السَّرقات عند النُّقاد القدامى:

إنَّ المتتبِّع لهذه القضيَّة في كتاب إحسان عبَّاس يجد "ابن سلَّام" قد تناول قضيَّة السَّرقات في معرض حديثه عن قضيَّة الانتحال وضروبه وأسبابه [5]، كما أنَّ "أبو العبَّاس المبرّد" من الأوائل الّذين

---

[1]– محمَّد مندور، النَّقد المنهجي عند العرب، ص358.

[2]– محمَّد مصطفى هدّارة، مشكلة السَّرقات في النَّقد الأدبي دراسة تحليليّة مقارنة، مكتبة الأنجلو المصريّة، 1958، ص76.

[3]– المرجع نفسه، ص76.

[4]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص671.

[5]– المرجع نفسه، ص67.

أشاروا إليها وذلك بدلالته على المعاني المسروقة [1] وبهذا يكون المبرّد قد شارك برأيه في أهمّ الاتّجاهات النّاشئة في القرن الثّالث، في حين نجد الجاحظ لا يشغل نفسه في هذه القضيّة مثلما فعل غيره من معاصريه[2] والملاحظ أنَّ إحسان عبَّاس لم يتحدّث عن السَّرقات لدى ابن قتيبة لأنَّ هذا الأخير لم يستعمل لفظ السَّرقة في الإسلاميين و من قبلهم و لم يجار معاصريه في هذا الاستعمال، أمَّا ابن المعتزّ فقد كان موقفه واضحا في هذه القضيّة فهو لا يختلف في آرائه عن النُّقاد المعاصرين له حيث يقول "ولا يعذر الشَّاعر في سرقته حتى يزيد في إضاءة المعنى أو يأتي بأجزل من الكلام الأوَّل، أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما تقدّمه ولا يفتضح به وينظر إلى ما قصده نظر مستغنٍ عنه لا فقير إليه " [3]

وقد وصف إحسان عبَّاس بعض تعليقات عبد الله ابن المعتزّ بالتَّأثُّريَّة والتّي ترتفع أحيانا إلى حدِّ الاتّهام المتحامل[4] كأن يقال إنَّ أبا تمَّام أخفى الشِّعر الذي يشبه شعره حين صنع مختاراته لتخفى سرقاته.

أمَّا في القرن الرَّابع فقد شهد اشتغال النَّقد كثيرا بالكشف عن السَّرقات وخاصّة في النَّقد الذي دار حول أبي تمَّام والبحتري والمتنبِّي، فنجد إحسان عبَّاس يرى أنَّ ابن طباطبا يلتمس العذر للشُّعراء المحدثين لأنّه من الّذين يؤمنون[5] بأنَّ مجال المعاني قد ضاق على الشَّاعر المحدث فلا بدّ له من من قانون للأخذ والسَّرقة وقانون ابن طباطبا شبيه بما ذُكِر عن غيره من النُّقاد في القرن الثَّالث "وإذا تناول الشَّاعر المعاني التّي قد سبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التّي عليها لم يعب بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه"[6] ثمَّ رأى ناقدنا أنَّ ابن طباطبا استطاع أن يعلم الشَّاعر كيف يصنع قصيدته قصيدته بيتا بيتا، بل كلمة كلمة، فلا يعجزه أن يعلمه طريقة يأخذ بها من سابقيه دون أن يتمكّن منه أحد فعلى الشَّاعر أن يستعمل "المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منه، فإذا وجد معنى

---

[1]– احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي، ص 671 .

[2]– المرجع نفسه، ص87.

[3]– المرجع نفسه، ص107.

[4]– المرجع نفسه،ص108.

[5]– المرجع نفسه، ص127.

[6]– محمَّد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشِّعر، تح:عبَّاس عبد السَّاتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص79.

لطيفا في تشبيب أو غزل استعمله في المديح، وإن وجده في المديح استعمله في الهجاء، وإن وجده في وصف ناقة أو فرس استعمله في وصف الإنسان، وإن وجده في وصف الإنسان استعمله في وصف بهيمة، فإنَّ عكس المعاني على اختلاف وجوهها غير متعذِّر على من أحسن عكسها واستعمالها في الأبواب التّي لا يحتاج إليها، وإن وجد المعنى اللَّطيف في المنثور من الكلام أو في الخطب والرَّسائل فتناوله وجعله شعرا كان أخفى وأحسن "[1] وبالتَّالي تتلخّص وسيلة ابن طباطبا حسب مانقله إحسان عبَّاس عنه في:

- إلطاف الحيلة في الأخذ .
- تدقيق النَّظر في تناول المعاني و استعارتها .
- تلبيسها حتَّى تخفى على نقادها و العالمين بها.
- استعمال المعاني في غير الجنس الّذي تناوله منه الشَّاعر.
- تناول المعنى اللَّطيف في المنثور وجعله شعرا

وبعد أن كان أبو تمّام يمثِّل الظَّاهرة التّي قد شغلت النُّقاد في القرن الثَّالث ثمَّ تواصلت في القرن الرَّابع ولعلَّ حدَّتها ازدادت في النِّصف الأوَّل منه، وكان الجهد الأكبر عند النُّقاد هو إبراز عيوبه. وقد تحدَّدت في سرقات هذا الشَّاعر لبعض المعاني وغيرها من القضايا التّي تناولها نقّاد القرن الرَّابع بالتَّفصيل، نجد "إحسان عبَّاس" ينطلق من "أبي الضِّياء بشر بن يحي النَّصيبي" الذي وطَّأ لبحثه في السَّرقات بقوله :"ينبغي لمن ينظر في هذا الكتاب أن لا يعجّل بأن يقول : هذا مأخوذ من هذا حتَّى يتأمَّل المعنى دون اللَّفظ ويعمل الفكر فيما خفي. وإنَّما المسروق في الشِّعر ما نقل معناه دون لفظه وأبعد آخذه أخذه "[2] وقد وقع في بعض المآخذ التي تعقّبه فيها الآمدي وقد وصف إحسان عبَّاس

[1]– محمَّد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشِّعر، ص80.

[2]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص140. 141

بعض تعليقات الآمدي على أبو الضّياء بالتَّهكُّم عليه [1] وحين ينتقل إحسان عبَّاس إلى كتاب الموازنة نجده لا يتوقَّف عند قضيّة السَّرقات بتمعّن "وكانت الفرصة أمامه لبيان أنَّ الآمدي لم يعدّ السَّرقات من العيوب الكبرى ووقف عند القراءة ليكتشف أنَّ الآمدي أحيانا يتوقَّف عند مدلول واحد دون اعتبار لتطوُّر اللَّفظ والتَّأويل باتِّخاذ موقف معياري" [2] وقد رأى أنَّ لدى الآمدي مقياسا للسَّرقة وهو"أنَّ ما جرى على الألسن وشاع من المعاني أو أصبح كالمثل السَّائر بين النَّاس فإنَّه لا يعدّ سرقة إذا اشترك فيه الشَّاعران[3] "، كذلك فإنَّ "ما كان اتِّفاقا بين ألفاظ معيَّنة لا يعدّ سرقا"[4] ثمَّ وصف هذا المقياس بالجيِّد وبيَّن أنَّ الصُّعوبة فيه تكمن في "تحديد مكان الشُّيوع والسَّيرورة والجريان على الألسنة، ومن شاء مال لهذا المقياس في حال الدِّفاع أو الهجوم"[5] وقد كان الكشف عن السَّرقات أحد الأركان النَّقدية التّي بنى عليها الآمدي موازنته بين الطَّائيين على حدّ تعبير إحسان عبَّاس.

وحين يقف إحسان عبَّاس عند الجهد النَّقدي لقدامة بن جعفر يلاحظ عليه أنَّه يهتمّ بالشِّعر دون الشَّاعر ممَّا جعل قدامة لا يحتفل بالسَّرقات وأهمل هذا الموضوع الكبير الذي استأثر باهتمام النُّقاد وكأنَّ قدامة في اعتقاد ناقدنا يرى "أنَّ المعاني شركة الجميع مطروحة في الطَّريق" [6] وهذا الرَّأي نفسه هو الذي جعل الجاحظ قبله لا يشغل نفسه بهذه القضيّة. ثمَّ إنَّ ناقدنا حين انتقل إلى الحاتمي ورسالته المسمَّاة باسمه صنَّفها في نطاق السَّرقات و"أنَّها جاءت تتمَّة للموضوع الّذي شغف به الحاتمي، ولكن الحاتمي خفَّف من وقع السَّرقة في مقدّمة الرِّسالة حين قدر أن يكون المتنبّي قد اهتدى إليها من خلال نظرته الخاصة وتجربته "[7] وبهذه الرِّسالة يكون إحسان عبَّاس قد أنهى حديثه عن الجزء الذي خصَّصه لأثر الثَّقافة اليونانية في النَّقد العربي .

---

[1]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص142.

[2]– إبراهيم السَّعافين، إحسان عباس ناقد بلا ضفاف، ص82.

[3]– الآمدي الموازنة، ص120.

[4]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص326.

[5]– المرجع نفسه، ص165.

[6]– المرجع نفسه، ص197.

[7]– المرجع نفسه، ص240.

وكان الموضوع الرَّابع الذي اهتمّ به إحسان عبَّاس في القرن الرَّابع هو المعركة النَّقدية التي كان السَّبب الرئيس في إثارتها الشَّاعر أبو الطَّيِّب المتنبِّي الذي لم يخف ناقدنا الإعجاب به إذ يقــول: " كذبت المقاييس :أين ما كان يتحدّث به النُّقاد عن الصِّراع بين القديم والمحدث؟ بل أين ما كانوا يتحدَّثون به من ميل إلى أبي تمَّام أو نزوع إلى طريقة البحتري ؟إنَّهم أمام طريقة جديدة قديمة لا ينفع فيها ما اعتمدوه من مقاييس عمود الشِّعر" [1] وأتت انطلاقته في هذا الجزء من الكتاب من أنَّ المتنبِّي في طريقته وشخصه يمثِّل مشكلة كبرى للنُّقاد وذلك من حيث قدرة هذا الشَّاعر على الجمع بين طريقة القدماء والمحدثين، وتكمن العلاقة بين المتنبِّي وهذا المبحث في أنَّ النُّقاد الّذين كانوا خصومًا للمتنبِّي حين أرادوا تحطيم شعره انتقاما من شخصه وتعاظمه وتعاليه كان أكثر همّهم منصرفا إلى التَّأكيد بأنَّ شعره مرقعة مصنوعة من معاني الآخرين فحاولوا الكشف عن سرقاته وما يتَّبع هذا الكشف من عيوب تحطّ من قيمة الشَّاعر.

فقد لاحظ إحسان عبَّاس عندما وقف عند كتاب الحاتمي "حلية المحاضرة" أنَّ الحاتمي فرَّع وأسرف في باب السَّرقات ورأى أنَّ النُّقاد في عصر الحاتمي وبعده "قد كفوا عن عدِّ الانتحال والنَّحل والإغارة والمرافدة وتوارد الخواطر أنواعا تندرج تحت باب الأخذ والسَّرقة" [2] وكذلك من الذين وجَّهوا نقدهم للمتنبِّي أبو العبَّاس النَّامي والصَّاحب بن عبَّاد فأمَّا رسالة النَّامي فقد ذكر خبرها ابن وكيع التّنيسي فإنّه كان يشير إليها وينقل عنها في مواضع من كتابه المنصف، وهذه النُّقول هي التّي جعلت إحسان عبَّاس يرى بأنَّ هذه الرِّسالة كانت في تبيان مساوئ المتنبي إذ يقول: "ولولا ابن وكيع لما عرفنا خبرها، فإنَّه يشير إليها وينقل عنها في مواضع في كتابه "المنصف" وهذه النُّقول هي التّي جعلتنا نتصوَّر أنَّها في تبيان مساوئ المتنبِّي" [3] وقد اعتبر إحسان عبَّاس هذه الرِّسالة من" أقدم ما كتب في الكشف عمَّا كان يعدّ خطأ في شعر المتنبِّي من حيث سوء اللّفظ أو تعمُّد السَّرقة أو الغموض في

[1]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص245.
[2]– المرجع نفسه، ص254.
[3]– المرجع نفسه، ص 262.

التَّعبير"[1] وهذا دليل على أنَّ إحسان عبَّاس ظلَّ وفيًّا لمنهجه الذي بناه على التّأمُّل التَّاريخيّ الشَّامل لحركة النَّقد العربي فرسالة النَّامي ليس لها وجود فإمَّا أنَّها ضاعت مع ما ضاع في حوادث التَّاريخ وإمّا أنَّها مازالت مخطوطة لم يسعفها الزَّمن لنشرها لكن رغم ذلك وضعها إحسان عبَّاس في موضعها التَّاريخي من حركة تطوُّر النَّقد العربي .

أمَّا رسالة "الصَّاحب" في الكشف عن مساوئ المتنبِّي فقد صرَّح فيها صاحبها بأنَّ السَّرقات ليست عيبًا ويورد فيها ما شاع كذبًا عن المتنبِّي من أنَّه كان ينكر معرفة أبي تمَّام، ويجمل إحسان عبَّاس رأيه فيما ذهب إليه "الصَّاحب" ممَّا يوضِّح ضيقه بالتَّعالم والتَّحاذق ومحاولة الغضّ من شاعر كبير من نقّاد ضعاف وأدباء هجناء وإحسان عبَّاس فيما نلحظ يحاول أن يحمي الموضوعيَّة بهجوم شديد على الذَّاتيَّة والهوى "[2] وحين ينتقل إحسان عبَّاس إلى ابن وكيع نجده يسرد أنواع السَّرقات العشرة التّي قد جعل لها ابن وكيع أضدادا تساويها وهذه الأنواع العشرة[3] هي:

- استيفاء اللّفظ الطويل الموجز القليل .
- نقل اللَّفظ الرَّذل إلى الرَّصين الجزل .
- نقل ما قبح مبناه دون معناه إلى ما حسن مبناه ومعناه .
- عكس ما يصير بالعكس ثناء بعد أن كان هجاء .
- استخراج معنى من معنى احتذي عليه وإن فارق ما قصد به إليه .
- توليد معان مستحسنات من ألفاظ مختلفات .
- مساواة الآخذ من المأخوذ منه في الكلام حتى لا يزيد نظام على نظام، وإن كان الأوَّل أحقّ به لأنَّه ابتدع والثَّاني اتَّبع .
- مماثلة السَّارق المسروق منه في كلامه بزيادة في المعنى ما هو من تمامه .

[1]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص263.

[2]– إبراهيم السَّعَّافين، إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف، ص92.

[3]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص288.

– رجحان السَّارق على المسروق منه بزيادة لفظه على لفظ من أخذ عنه .

ولخَّص "إحسان عبَّاس" ما قاله "ابن وكيع" بقوله أنَّ " في السَّرقة ما يوصف بالجودة وما يوصف بالرَّداءة، وأنَّها شيء عام في الشِّعر قديما وحديثا يكاد لا يعرى منها شاعر" [1] ولقد بيَّن ناقدنا أنَّ "ابن وكيع" بيَّن أقسام السَّرقات ليساعده ذلك في بيان سرقات المتنبِّي .

وحين يتوقَّف عند كتاب "الوساطة بين المتنبِّي وخصومه" لـ:"عبد العزيز الجرجاني" يبيِّن أنَّه اعتمد على آراء "الآمدي" في هذه القضيَّة لكنَّه طوَّرها وأمعن في التَّدقيق والتَّحليل، وقد اتَّفق كلّ من الآمدي والجرجاني فيما رآه ناقدنا على أنَّ "السَّرق داء عظيم وعيب عتيق وما زال الشَّاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمدّ من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه "[2] .

أمَّا ما جاء بعد القرن الرَّابع من نظريات وآراء نقديَّة حول هذه القضيَّة على ما ذهب إليه ناقدنا هو إعادة صياغة للنَّظريَّات والآراء السَّابقة ولم يأت جلّ النّقاد بأي جديد حولها على غرار عبد الكريم النَّهشلي وابن رشيق القيرواني الذين كرَّرا الآراء النَّقدية السَّابقة، فقد ذهب النَّهشلي إلى أنَّ "المتَّفق عليه هو أنَ السَّرق ما نقل معناه دون لفظه وكان مبعدا في الأخذ " [3] أمَّا ابن رشيق فقد اعتمد على حلية المحاضرة للحاتمي في تبيان أنواع السَّرقة "وليس لابن رشيق في الباب كلِّه رأي ذاتي أو تمثيل جديد. والظَّنّ قويّ بأنَّ ابن رشيق لم يعر مبحث السَّرقات اهتماما كبيرا، لإيمانه بأنَّ السَّرقة قد أصبحت قاعدة عامَّة في الحياة الشِّعريَّة لعصره " [4] وربَّما كان رأي إحسان عبَّاس أكثر وضوحا في قضيَّة السَّرقة والتَّأثُّر في تعقيبه على محاولة العميدي تسقط آثار الشُّعراء في شعر المتنبِّي "فينطلق في ردِّه عليه من مفهوم التَّأثُّر في نظر النَّقد الحديث ويتعجب كيف أنَّ الشَّاعر الّذي تشغله قضيَّة أو ينشب بصدره انعال أو يتوقَّد في نفسه إحساس يفتِّش في ديوان شاعر أو في محفوظة ما يعبِّر به عمَّا

---

[1]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص289.

[2]– علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح:أحمد عازف الزّين، ط1، دار المعارف للطِّباعة والنَّشر، سوسة، تونس، 1992، ص174.

[3]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص449.

[4]– المرجع نفسه، ص463.

يحسّه من موجدة " [1] إذ يعترف إحسان عبَّاس بفضل العميدي إذ يقول معترفا بهذا الفضل بجمل ساخرة :"وهذا لا يمنعنا من أن نقرّ للعميدي بالبراعة في اقتفاء المعاني، دون أن نتَّهمه بأنَّه حرف أو زاد (...)فيما أورده من شعر منسوب إلى قائلين، بعضهم لم يستحقّ أن يذكر اسمه في سجِّل الشِّعر، فمات دون أن يستطيع العميدي بعث الحياة في جثَّته الهامدة أعني شعره "[2] وقد كانت السَّرقات هي المرتقى الذي يصعد به الشَّاعر عند العميدي أو يهوي منه. وهكذا كان نقّاد القرن الرَّابع قد حسموا أبواب هذه القضيَّة ممَّا جعل من بعدهم يعجز على الإتيان بجديد يذكر في هذه القضيَّة سوى إعادة العرض بطرق تختلف عن سابقاتها .

وفي الأخير قسَّم إحسان عبَّاس النُّقاد الّذين تناولوا هذه القضيَّة إلى فريقين الأوَّل منهما يتناولها دون حدّة مثل "الآمدي" و"الجرجاني" أو "حازم القرطاجنّي" وفريق يتناول البحث فيها مصحوبا بالنِّقمة والغيظ فقد كان هذا الشُّغل الشَّاغل لدى الحاتمي في بعض حالاته وابن وكيع والعميدي، وقد أرجع ناقدنا الدَّافع الرَّئيس في نشوء هذه القضيَّة إلى اتِّصال النَّقد بالثَّقافة ومحاولة كلّ ناقد أن يثبت كفايته في ميدان الاطِّلاع ثمَّ تطوّر الشُّعور بالحاجة إلى البحث في السَّرقات خضوعا لنظريَّة اعتبرها إحسان عبَّاس خاطئة وهي أنَّ المعاني قد استنفدها الشُّعراء الأقدمون، وقد استقطبت هذه المشكلة سائر القضايا النَّقديَّة واستأثرت بكلّ الجهود وفي هذا إشارة إلى خروج النُّقاد عن مجال البحث في النَّقد الأدبي وابتعادهم عن محوره الطَّبيعي[3].

[1]– إبراهيم السَّعَّافين، إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف، ص106.

[2]– المرجع السَّابق، ص377.

[3]– ينظر : إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص671. 672.

عمود الشِّعر :

في تحديد مفهوم عمود الشِّعر :

وفقا لما جاء في لسان العرب "العمود: عمود البيت وهو الخشبة القائمة في وسط الخباء والجوع أعمدة وعمد، وعمود الأمر :قوامه الذي لا يستقيم إلا به، والعميد السَّيد المعتمد في كلّ الأمور المعتمد عليه في الأمور أو المعمود عليه "[1].

أمَّا اصطلاحا فهو طريقة العرب في نظم الشِّعر لا ما أحدثه المولدون والمتأخِّرون [2] وقد يلاحظ على التَّعريف اللّغوي أنَّه لا علاقة بينه وبين الشِّعر ولكن لا يمنع ذلك أن يكون النُّقاد الأوائل قد استوحوا المعنى الاصطلاحي من المعنى اللّغوي لهذا المصطلح، فكما أن خشبة الخباء هي الأساس الّذي يقوم عليه ذلك البيت، فإن أصول الشِّعر العربي وعناصره التي يُشير إليها المعنى الاصطلاحي تُعدُّ أيضًا بمثابة الدَّعامة والرَّكيزة الأساسية التي لا يقوم نظم الشِّعر الجيِّد الصَّحيح إلّا عليها.

تاريخ نظريَّة عمود الشِّعر وتطوُّرها وآراء إحسان عبَّاس فيمن تكلَّم عنها :

إنَّ تتبُّع هذا المصطلح في كتاب "إحسان عبَّاس" يؤول إلى أنَّ أوَّل من استعمل هذا المصطلح هو صاحب كتاب الموازنة أبا الحسن بن بشر الآمدي [3] وقد كانت لهذه النَّظريَّة إرهاصات سابقة استفاد منها الآمدي في تشكيل نظريَّته، وهذا ممَّا لا شكَّ فيه لأنَّ الآمدي اعتمد على آرائهم واستدلّ بأحكامهم في النَّقد حتَّى لقد قيل إنَّ أصول كتاب "الموازنة "صورة ترجع لآراء النُّقاد قبل عصر الآمدي، وأنَّ أصول كتاب "الموازنة " ترجع إلى نقاد القرن الثَّالث ومؤلّفيه "[4] وقد رأى "إحسان عبَّاس" أنَّ "الآمدي" قد نسب عمود الشِّعر إلى الأوائل [5] وذلك لميل "الآمدي" إلى طريقتهم وقد

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ص 276.

[2]– أحمد مطلوب، معجم النَّقد العربي القديم، ص133.

[3]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص150.

[4]– مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، في النَّقد الأدبي عند العرب، مكة للطباعة، 1998، ص154 .

[5]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص150.

صرَّح بهذا في قوله: "والمطبوعون وأهل البلاغة لا يكون الفضل عندهم من جهة استقصاء المعاني والإغراق في الوصف، وإنَّما يكون الفضل عندهم في الإلمام بالمعاني وأخذ العفو منها كما كانت الأوائل تفعل مع جودة السَّبك وقرب المأتى، والقول في هذا قولهم وإليه أذهب" [1] وقد كان "الآمدي" قد حدَّد عناصر عمود الشِّعر في الأغلب بالصِّفات السِّلبية أي أنَّه حدَّدها من خلال الجوانب التّي تورَّط فيها أبو تمَّام مثل التَّعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام واستكراه المعاني والأبعاد في الاستعارة مما لو عكسناه لأصبح صفات للبحتري [2] وربَّما هذه الصِّفات التّي وضعها الآمدي هي التّي جعلت إحسان عبَّاس يجزم بأنَّ هذه النَّظريَّة وضعها الآمدي خدمة للبحتري ودفاعا عنه.وقد كان الآمدي يطبِّق نظريَّته هذه "تطبيقا واسعا وجريئا وثريا على شعر الشَّاعرين، فيرى البحتري يسير مع القدماء في أدائهم وأساليبهم وأخيلتهم ومعانيهم وصوّرهم، ويرى أبا تمَّام يبعد عن القدماء في ذلك جلِّه بعدا كثيرًا وهو في كلّ ذلك خاضع لمنهج ومتأثِّر بنظريَّة ومطبِّق لمذهب، ومن أجل ذلك أثنى على البحتري وقسى على أبي تمَّام حتَّى لقد رمي بسببه بالتَّعصُّب على أبي تمَّام والانتصار للبحتري" [3] وقد تساءل إحسان عبَّاس كيف تكون الموازنة منصفة مع تطبيق عمود الشِّعر الذي يخدم البحتري ابتداءً إذ يقول: "هل يستطيع الموازنة المنصفة من كان له هذا الميل ابتداء؟ " [4] وقد اعترف إحسان عبَّاس للآمدي بمحاولته أن يكون منصفا إلا أنَّ ميل الآمدي إلى طريقة البحتري وتكلّفه الموازنة بينها وبين طريقة أبي تمَّام جعلته يقع في ظلم أبي تمَّام والتَّعصُّب عليه .

وحين يأتي إلى صاحب الوساطة نجد هذه القضيَّة من أهمِّ القضايا التي وقف عندها إحسان عبَّاس وقد لاحظ إحسان عبَّاس أنَّ الآمدي قد حام حول ما أسماه عمود الشِّعر وحدَّده –كما أشرنا إلى ذلك سابقا– بالصِّفات السِّلبيَّة، أمَّا الجرجاني فقد أخذ هذه الصِّفات السِّلبيَّة ووضعها بصيغة إيجابيَّة "فإذا عمود الشِّعر ذو أركان محدَّدة وهي:

---

[1]– الآمدي، الموازنة، ص492.

[2]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص314.

[3]– محمَّد عبد المنعم خفاجة، الفكر النَّقدي والأدبي في القرن الرَّابع، رابطة الأدب الحديث، ص74. 75.

[4]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص150.

- شرف المعنى وصحَّته .
- جزالة اللَّفظ واستقامته .
- إصابة الوصف .
- المقاربة في التَّشبيه .
- الغزارة في البديهة .
- كثرة الأمثال السَّائرة والأبيات الشَّاردة "[1].

وقد لاحظ إحسان عبَّاس أنَّ الآمدي كان "صريحا في موقفه حين وجد أبا تمَّام قد خرج في محاولته على عمود الشِّعر، أمَّا الجرجاني فلم يصرِّح عن رأيه في صلة المتنبِّي بعمود الشِّعر " [2]، وقد لاحظ أيضًا أنَّ هذه العناصر السِّتَّة التّي وضعها الجرجاني تنطبق على المتنبِّي إذ " أنَّك تلمح من طرف خفيّ أنَّ الشروط السِّتَّة التّي وضعها تنطبق على المتنبِّي تماماً، فإذا طالعته بمعنى مستكره أو وصف غير مصيب أو استعارة مفرطة دعاك إلى أن لا تحكم ببيت على أبيات، وبشاذ مفرد على مستوٍ غالب"[3] وبهذا تكون نظرية عمود الشِّعر عند الجرجاني مطابقة لما جاء عند الآمدي غير أنَّ الاختلاف يكمن في أنَّ الجرجاني أعاد صياغتها بوجه يختلف عن الذي كان عند الآمدي .

وبعد أن وضع الآمدي حجر الأساس لهذه النَّظريَّة على الرَّغم من أنَّه لم يوضِّح مبادئها ويوطِّد أركانها، جاء الجرجاني فزادها وضوحا وتبيانا وخطى بها خطوة أخرى إلى الجلاء والوضوح حتَّى إذا جاء المرزوقي خطا الخطوة الثَّانية، فرسم عناصره ووضَّح مفهومه، وقعَّد له، وفصَّل في معاييره، فكان كأنَّه هو الذي أوجده وإن كان قد سبق إليه، فعندما وقف إحسان عبَّاس عند مقدِّمة المرزوقي ناقشه في أهمِّ المشكلات النَّقديَّة الكبرى التّي عرضها المرزوقي ومن هذه القضايا قضيَّة عمود الشِّعر التّي لخَّصها المرزوقي في ما يلي[4] :

---

[1]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص314.

[2]– المرجع نفسه، ص315.

[3]– المرجع نفسه، ص ن .

[4]– المرجع نفسه، ص412.

- شرف المعنى وصحَّته .
- جزالة اللَّفظ واستقامته .
- الاصابة في الوصف .
- المقاربة في التَّشبيه .
- التحام أجزاء النَّظم والتئامها على تخيُّر من لذيذ الوزن .
- مناسبة المستعار من المستعار منه .
- مشاكلة اللَّفظ وشدَّة اقتضائهما للقافية حتى لا تنافر بينهما .

وقد ردَّ إحسان عبَّاس الحدود عند المرزوقي إلى" قدامة في الأغلب، ورأى أنَّ العيار يمثِّل ماجاء به الجرجاني حين تحدَّث عن العناصر الأربعة اللاَّزمة للشَّاعر، وإذا كان قد عاد ببعض عيارات الشِّعر إلى الجرجاني فإنَّ الجرجاني افترضها في الشَّاعر من مثل الطَّبع والرُّؤية والذَّكاء والدُّربة، والمرزوقي يتحدَّث عن توافرها في المتلقِّي أو في المتذوِّق أو النَّاقد " [1] وقد عبَّر إحسان عبَّاس على اكتمال نظريَّة عمود الشِّعر على يد المرزوقي بقوله: "هي خلاصة الآراء النَّقديَّة في القرن الرَّابع، على نحو لم يسبق إليه ولا تجاوزه أحد من بعده، فلو لم يكن عمود الشِّعر هو الصِّيغة التِّي اختارها شعراء العربيَّة، لكان في أقلّ تقدير هو الصُّورة التِّي اتَّفق عليها النُّقاد" [2] وقد ساعد إحسان عبَّاس في تمثُّل مثل هذه الآراء رؤيته الشَّاملة لتاريخ النَّقد العربي .

وقد لاحظ إحسان عبَّاس أنَّه من خلال هذه العناصر "نستطيع أن نقول إنَّ نظريَّة عمود الشِّعر رحبة الأكناف واسعة الجنبات، وأنَّه لا يخرج من نطاقها شاعر عربي أبدا وإنَّما تخرج قصيدة لشاعر أو أبيات في كلِّ قصيدة، وقد أساء النَّاس فهم هذه النَّظريَّة وحمَّلوها من السَّيِّئات الشَّيء الكثير، ولكنَّها أساس كلاسيكي رصين، فالثَّورة عليها لا تكون إلا على أساس رفض الشِّعر العربي جملة "[3] أي أنَّه لا يمكن أن يخلو أي شعر من هذه الشُّروط تماما وبالتَّالي نجح "المرزوقي" في إدراج أبي تمَّام تحت مايسمَّى عمود الشِّعر.

[1]– إبراهيم السَّعَّافين، إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف، ص108.

[2]– إحسان عبّاس،تاريخ النقد الأدبي، ص412.

[3]– المرجع نفسه، ص412.

كما استطاع "المرزوقي" أن يضيف قسما ثالثًا لموقف النُّقاد من الشِّعر بعد أن "انقسموا على فئتين فئة تقول: أحسن الشِّعر أكذبه، وفئة تقول أحسن الشِّعر أصدقه فإنَّه قد زاد فئة ثالثة تقول : أحسن الشِّعر أقصده "[1].

هذه خمسة قضايا تناولناها من مجمل القضايا الكبرى التي أردنا أن نرسم من خطوطها الكبرى عند هذا النَّاقد عسى أن يجد فيها القارئ لها متَّكأه في فهم التَّصوُّر الكلِّي لرأي كاتب هذه الموسوعة النَّقديَّة حول هذه القضايا التّي جاءت متفرِّقة عنده في صفحات الكتاب.

[1] – إحسان عبّاس،تاريخ النقد الأدبي، ص416.

المبحث الثَّاني : مزايا الكتاب معرفيًّ ومنهجيًّا :

كان لابد لنا ونحن نكتب بحثاً موجزاً عن ناقد أدبي حديث عُنينا بدراسته واهتممنا به، وهو إحسان عبَّاس الذي جمع بين أصالة التُّراث وعمق الثَّقافة المعاصرة المتأثِّرة بالأفكار الغربيَّة، وكان له دور واضح نقل الكثير من الآراء والأفكار النَّقدية القديمة بمفاهيم معاصرة وله آراؤه الواضحة كل ما نقله وحلَّله من نصوص أدبية ونقدية عربية كانت أم غربية، وبعد قراءتنا لمنجز هذا النَّاقد الكبير تبيَّن لنا منهجه وفكره النَّقدي، وبهذا آثرنا أن نكتب عن بعض مزايا هذا المنجز النَّقدي عند هذا النَّاقد، تاركين المجال مفتوحاً للباحثين دراسته بجرأة أكثر نقداً وتفصيلا، ولعلَّ أهمَّ مزايا هذا الكتاب مايلي:

الرُّؤية الشُّموليَّة للنَّقد القديم:

ممَّا لا يخفى على أي باحث الأدب العربي ونقده أنَّ القراءات التّي تناولت مادَّة التُّراث النَّقدي عند العرب مما لا يمكن حصرها، وقد أصبح من البديهيات أنَّ" أي محاولة للنَّظرة الكلِّيَّة إلى هذه المادَّة يصبح عملا عسيرا ومغامرة خطيرة، لكنَّ الدِّراسات الكثيرة التّي تناولت هذه المادَّة على مدى خمسين عاما الماضية أتاحت لبعض الدَّارسين مناخا ملائما لمحاولة القيام بهذا العمل والدُّخول هذه المغامرة "[1] ولعلَّ إحسان عبَّاس من الأوائل الّذين كان لهم السَّبق خوض تجارب هذه المغامرة كتابه هذا، والتّي انتهت بنتائج قلَّ أن يأتى بمثلها بعده .

إنَّ المطالع لكتاب إحسان عبَّاس سيجد أنَّه يتَّخذ منهجاً شمولياً ذو نظرة كلِّيَّة دراسة التُّراث النَّقدي القديم، حيث مكَّنته ثقافته النَّقدية الواسعة من الوقوف عند المفاصل الأساسية تاريخ الأفكار النَّقدية [2] حيث تواصلت القراءة التَّاريخيَّة هذا المنجز مصحوبة "بنظرة كلِّيَّة شاملة من جهة مع منظور يوازن بين النَّظري والتّطبيق من ناحية ثانية" [3] يحتكم إلى تناسق الأفكار ومدى تكاملها لدى صاحبها وهذا ما كان يهدف إليه حين أشار إلى "الاحتكام إلى أساس شمولي النَّظرة الكلِّيَّة إلى

[1]– قراءة جديدة لتراثنا النَّقدي، النَّادي الأدبي الثَّقافي، جدة، ص35.

[2]– إبراهيم السَّعافين، إحسان عباس ناقد بلا ضفاف، ص73.

[3]– قراءة جديدة لتراثنا النَّقدي، النَّادي الأدبي الثَّقافي بجدة، ص132.

ذلك الكيان"[1] وميزة هذا الكتاب أنَّ طالب الأدب والنَّقد على ما رأى إبراهيم السَّعَّافين يمكنه أن "يستغني به عن قدامة والآمدي والجرجاني فقد أودعه خلاصة آرائهم "[2].

التَّحليل العميق والاستقصاء متابعة الأفكار :

لم يكتف إحسان عبَّاس دراسته للموروث النَّقدي العربي بالقراءة السَّطحية لهذا التُّراث، وإنَّما كان يعتمد دراسته على استنطاق هذه النُّصوص وتحليلها دون عزلها عن سياقها، ويتجلَّى ذلك إمساك إحسان عبَّاس للمفاصل الأساسية للنَّقد العربي، ومن يتأمّل مقولاته وآرائه هذا المنجز يجدها قد خضعت إلى لغة دقيقة موضوعيَّة بعيدة عن كل الإبهام والمعمَّيات، ولعلَّ أطول وقفة وقفها إحسان عبَّاس– على ما ذكره إبراهيم السَّعَّان كتابه "إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف "– بنقد موضوعي صائب وعميق حين بيَّن "أنَّ ابن وكيع قد تأثَّر بالحاتمي وأغفله "[3]، إذ يقول إحسان عبَّاس :"ولا ندري لم لا يصرِّح بذكر الحاتمي كتابه، فإنَّ صورة الحاتمي واضحة "المنصف " فقد ضلَّله الحاتمي بمفهوم الاستعارة عند أرسطو، حين جعلها تعني "الأخذ "لا الفن التَّصويري، كما أنَّ كثيرا من تعريفاته للفنون البديعية منقول عنه، وكشفه عن المعاني المسروقة شعر أبي الطَّيِّب يلتقي هـ كثير من الأمثلة مع الحاتمي "[4]، وقد كان إحسان عبَّاس "على ميله إلى التَّحليل العميق وربَّما الاستقصاء متابعة الفكرة وتقليبها على وجوهها المختلفة، لا ينقاد بسهولة وراء إغراءات الوصول إلى نتائج حاسمة لأنَّه يرى أنَّ القضايا ليست قابلة للحلول الحاسمة فالقضايا لا تحل بكلمة واحدة "[5]، بالإضافة إلى هذا التَّحليل العميق للنُّصوص نلاحظ انسجاما تاما كية تناول الأفكار وطريقة تحليلها.

[1]– إحسان عباس، تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب، ص11.

[2]– إبراهيم السَّعافين، إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف، ص114.

[3]– المرجع نفسه، ص94.

[4]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب، ص290 .

[5]– إبراهيم السَّعافين، إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف، ص68.

الرَّبط بين آراء النُّقاد واتجاهاتهم :

لقد كان دأب إحسان عبَّاس هذا المنجز الرَّبط بين آراء النُّقاد والموازنة بين هذه الآراء، محاولا من خلال ذلك تبيان تأثُّر بعضهم ببعض، وتبيان مدى تقليد هذا النَّاقد لذاك، أو هذا من النُّقاد، ومدى تجديده وإضافاته للنَّقد ما جاء به من أطروحات نقدية. وخير مثال على ذلك بيان مدى تأثُّر صاحب الوساطة عبد العزيز الجرجاني بالآمدي أكثر من قضيَّة حيث يقول :"وما كان الآمدي إلا معلِّما للجرجاني، فنجح الآمدي نظريًّا فقط بينما نجح تلميذه في منهجه نظريًّا وعمليًّا، أمَّا الآراء والنَّظرات النَّقدية فإنَّ الجرجاني لم يأت بجديد، وإنَّما التقت عنده أكثر الآراء والنَّظرات السَّابقة فأحسن استغلالها التَّطبيق والعرض ." [1] ثمَّ عند مناقشته لما طرحه عبد العزيز يبيِّن القضايا التّي كان للآمدي فضل السَّبق ها على الجرجاني .كما بيَّن مكامن التَّجديد ما جاء به الجرجاني. وقد حصره ناقدنا في التَّمكُّن من التَّوسّط بين أنصار المتنبي وخصومه باعتبار هذا الموقف"موقف إنساني ليس من الصَّعب أن يتنبَّه المرء له، ولكن ربَّما كان من الصَّعب تطبيقه." [2] إذ يكمن التَّجديد في قدرة عبد العزيز على التَّوسُّط بين الفريقين سواء التَّنظير أو التَّطبيق وبوسعنا أن نقول أنَّ هذه الموازنات التّي يقوم بها إحسان عبَّاس تدخل ضمن تمسُّكه بمنهجه النَّقدي القائم على فكرة التَّطوُّر للكيان النَّقدي عبر القرون المتلاحقة فبيَّن نشوء الأفكار وتطوُّرها، وربط بين آراء النقاد واتِّجاهاتهم مبيِّنا لمواضع التَّجديد عندهم .

تفسير الملاحظات النَّقديَّة القديمة في ضوء الأفكار النَّقديَّة الغربيَّة :

يتوقف إحسان عبَّاس عند إشارات مهمَّة تبدو بارزة في النَّقد العربي القديم، لمفهومات نقدية لم تظهر إلاَّ في النَّقد الأدبي المعاصر أعانه في ذلك ثقافته النَّقدية الواسعة واطِّلاعه على معظم الآراء النَّقدية في القديم والحديث، فيلتقط ضوء هذه الثَّقافة "هذه البذور ليستثمرها إطار فكرة تطوُّر الملاحظات والمفاهيم النَّقدية تاريخ النَّقد العربي ليتأمّل الكيان النَّقدي وينمو حتّى يئول إلى صورته

[1]– إحسان عباس، تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب، ص309 .

[2]– المرجع نفسه، ص308.

النِّهائية التّي وصل إليها "[1] ويظلّ إحسان عبَّاس ينظر إلى الآراء النَّقدية القديمة ببصيرة نقديَّة معاصرة مع إدراكه التَّام بأنَّ هذه النَّظرة "على النَّقد العربي القديم من خلال مفهومات النَّقد الحديث ربَّما كانت جائرة على طبيعة ذلك النَّقد وظروفه "[2] مثال ذلك اهتمام إحسان عبَّاس بملاحظات الجاحظ في ضوء النَّظريات النَّقدية الغربيَّة حول اعتماد الشِّعر في الجماعات على ثلاثة عناصر: الغريزة، والبيئة، والعرق.وقد تأسَّف إحسان عبَّاس على عدم تطوير هذه الملاحظات على أيدي من جاءوا من بعده، إذ يرى أنَّ أكثر آراء الجاحظ النَّقدية "أصول نظريَّات لم يمنحها ما تستحقُّه من شرح وتفسير وتمثيل وظلّت مغلقة على الذين جاءوا بعده، فلم يتقدَّموا بها شوطا أو تناولوا بعضها وانتزعوه من ملاباساته الواقعية فأخطأوا تأويله والانتفاع به "[3] ومثله أيضًا قوله معلّقا على وجهة نظر ابن طباطبا في أخذ المعنى بما يخفيه :"وقد يقف النَّقد المعاصر موقف المخالفة الصَّريحة والمباينة التَّامَّة لرأي ابن طباطبا هذا، ولكنَّه لابدّ أن يكبر فيه – من هذه النَّاحية– شيئين :أوَّلهما هذا التَّصوُّر الذي لا يختلُّ أبدا لصورة القصيدة في نفسه، وثانيهما هذا الالحاح الشَّديد على نوع من الوحدة لا نجده كثيرا عند غيره من النُّقاد "[4].

ومثال ذلك أيضا معارضة إحسان عبَّاس لابن الأثير لموقفه من المقاييس اليونانيَّة التّي تمثَّلت في ترجمات كتاب الشِّعر وملخَّصاته إذ يرى ابن الأثير أنَّ هذه التَّرجمات لم تستطع أن تكون ذات تأثير في تيَّار الشِّعر العربي، ويعلِّق بعد عرضه لهذا الرَّأي قائلا :"ولكنّه لم يسأل نفسه: هل كان تيَّار النَّقد النَّابع من التَّصوُّرات العربيَّة الأصيلة قادرا على أن يؤثِّر في وجهة الشِّعر أيضا ؟ أعني إلى أيّ حدٍّ استطاع النَّقد كلّه –ومن جملته نقد ابن الأثير– أن يكون ذا أثر موجَّه في حياة الشِّعر أو النَّثر؟"[5]

---

[1]– إبراهيم السَّعَّافين، إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف، ص74.

[2]– أماني حاتم بسيسو، دراسات إحسان عبَّاس وجهوده في النَّقد العربي، ص267. 268 .

[3]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب، ص84.

[4]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب، ص128.

[5]– المرجع نفسه، ص585.

وقد أكَّد إبراهيم السَّعَّافين أنَّ إحسان عبَّاس من "القلائل الذين ألموا بصورة عميقة وشاملة بتراث الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، فإنَّه أيضا من القلائل الذين مدُّوا بصرهم إلى التُّراث العالمي. ولعلَّ هذه الميزة هي التي جعلته يد من المعارف النَّقدية الغربيَّة لمعاينة النَّصّ العربي دون أن يفرض عليه هذه المعارف فرضا "[1] وقد مضى إحسان عبَّاس على هذا النَّحو مع كثير من القضايا مستفيدا من هذا الاطِّلاع الواسع والثَّقافة النَّقديَّة الشَّاملة وفهمه العميق للقضايا النَّقديَّة وأطروحاتها قديما وحديثا .

الإفادة من التَّفسير النَّفسي :

من تتبَّع آراء إحسان عبَّاس في هذا الكتاب، وتمعَّن في الأطروحات التّي جاء بها يجد هذا النَّاقد قد أفاد كثيرا من نظريات علم النَّفس ومدارسه "ولا سيما مدرسة كارل يونغ وتطبيقاتها لدى نقاد الأدب في الصُّورة الأدبيَّة، إذ بدا التَّحليل النَّفسي قاسما مشتركا في مشروعه النَّقدي منذ فترة مبكرة "[2] ويظهر ذلك جليا في مواقف كثيرة من هذا المنجز مثال ذلك تفسير إحسان عبَّاس لقضيَّة الإلهام تفسيرا نفسيًّا حديثا وهذا ما يؤكِّده إبراهيم السَّعَّافين بقوله :"ولذا مال إحسان عبَّاس إلى تفسير الإلهام تفسيرا حديثا بعيدا عن وجهة نظر أفلاطون الإلهام وتطوُّرها على نحو ما نرى في فكرة الإلهام عند الرُّومانتكيِّين ". وقد اهتمَّ إحسان عبَّاس كثيرا بهذا الجانب وألحَّ عليه غير موضع وقد كان هذا التفسير النَّفسي من أهمِّ السِّمات التّي وسم بها ناقدنا منجزه هذا .

وعلى هذا المسار حاول إحسان عباس أن يقيم كيانا للنَّقد العربي من خلال ثقافته النَّقديَّة المتنوِّعة والشَّاملة من منظور تاريخي تميَّز به عن كثير من النُّقاد الذين سبقوه في محاولة التأريخ للنَّقد العربي.

[1]– إبراهيم السَّعَّافين، إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف، ص29.

[2]– المرجع نفسه، ص8.

المبحث الثَّالث: استدراكات على الكتاب.

كان إحسان عبَّاس ناقدا ممتازا ، جيِّد التَّفكير، واسع الاطِّلاع، عميق النَّظر، ثقة في نقله ونقده حاول أن يتحرَّى الموضوعيَّة على قدر فهمه واجتهاده، فإذا غُمَّ عليه أمر ولم يقتنع به ذكر ذلك بصراحة وإذا نقصت معلوماته حول كتاب معيَّن فكان ذلك لعدم وجود هذا الكتاب في السَّاحة الأدبيَّة والنَّقديَّة ولكن مع ذلك لا يخلو منجزه من هفوات سقط فيها مثله مثل أيِّ منجز أدبي أو نقدي وقد صعب علينا أن نكتشف بعض هاته الهفوات فلا يستدرك على كتاباته إلا من هو مثله أو أحسن منه أو يقاربه في المستوى، ولكن مع ذلك استعنا بإحدى الدِّراسات التّي تناولت هذا المنجز والتقطنا منها بعض الإشارات الدَّالَّة على هذه الهفوات، وهي دراسة "إبراهيم السَّعَّافين" المسمَّاة "إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف" والتِّي عثرنا فيها على هفوتين كما سيأتي في بيانها في ما يلي:

التَّقليل من شأن قضيَّة السَّرقات:

لقد دأب إحسان عبَّاس في منجزه هذا على التَّقليل من شأن قضيَّة السَّرقات، وقد رأى هذا الرَّأي أيضا إبراهيم السَّعَّافين في كتابه المشار إليه آنفا إذ يقول هذا الأخير أنَّ إحسان عبَّاس:"يلحّ على التَّقليل من شأنها إلى حدٍّ يقترب من رفضها وعدِّها قضيَّة لا قيمة لها في النَّقد الأدبي" [1] وقال أيضًا: "وكانت الفرصة أمام إحسان عبَّاس لبيان أنَّ الآمدي لم يعدّ السَّرقات من العيوب الكبيرة، والسَّرقات لا يتوقَّف أمامها إحسان عبَّاس، ووقف عند القراءة ليكتشف أنَّ الآمدي أحيانا يتوقَّف عند مدلول واحد دون اعتبار لتطوُّر اللَّفظ والتَّأويل باتِّخاذ موقف معياري"[2] وقال أيضًا :"... إحسان عبَّاس الّذي يكره الحديث في السَّرقات ..." [3] ولعلَّ سبب ذلك يعود إلى أنَّ إحسان عبَّاس يرى في قضيَّة السَّرقات أنَّها وجَّهت النَّقد إلى وجهة لم يكن ينبغي أن يتوجَّه إليها حيث يقول:" ثمَّ لا يحتاج

[1]– إبراهيم السَّعَّافين ، إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف، ص73.

[2]– المرجع نفسه، ص82.

[3]– المرجع نفسه، ص98.

كذلك إلى أن يظلَّ لقضيَّة السَّرقة هذا المقام الكبير في النَّقد الأدبي، وكأنَّ هذا يعني أنَّ قضيَّة السَّرقة ما كان من حقِّها أن توجد، لأنَّها استطاعت أن تتحوَّل بالنَّقد في وجهة غير مثمرة أبداً " [1] فإذا كان إحسان عبَّاس قلَّل من شأن هذه القضيَّة نجد نقَّاداً آخرين أولوها أهمِّية كبيرة ، فنجد مثلا محمَّد مندور يفرد لها حيِّزاً خاصًّا في كتابه "النَّقد المنهجي عند العرب "ويعتبرها من أخطر القضايا حيث يقول عنها: "مسألة خطيرة لا لأنَّها شغلت النُّقَّاد من العرب أكثر مما شغلتهم مسألة أخرى ، وخاصَّة منذ ظهور أبي تمَّام وقيام الخصومة حوله ، بل لأنَّها أيضا تتناول أعمّ ما تسعى إليه الدِّراسات الأدبيَّة ألا وهو أصالة كلّ شاعر أو كاتب، ومبلغ دَينه نحو من سبقه أو عاصره من الكتَّاب أو الشُّعراء" [2] ونجد محمَّد هدَّارة يفرد لها كتابا خاصّاً سمَّاه "مشكلة السَّرقات في النَّقد الأدبي " تتبَّع فيه تاريخ هذه القضيَّة وتطوُّرها لدى النُّقاد، فاهتمام النُّقَّاد المعاصرين بدراسة هذه القضية دليل على أهمِّيتها في النَّقد العربي القديم رغم إهمال إحسان عبَّاس لها في منجزه هذا.

موقف يوحي بالتَّناقض من قضيَّة اللَّفظ والمعنى عند الجاحظ وعدم تفسيره لما جاء فيها :

لقد اهتمَّ إحسان عبَّاس بآراء الجاحظ اهتمامًا كبيرا وحاول ربطها بالآراء النَّقديَّة الغربيَّة الحديثة مما جعلته يرى بأنَّ آراء الجاحظ "أصول نظرات لم يمنحها ما تستحقُّه من شرح وتفسير وتمثيل ، وظلَّت مغلقة على الّذين جاؤا بعده ، فلم يتقدَّموا بها شوطاً، أو تناولوا بعضها وانتزعوه من ملابساته الواقعيَّة فأخطأوا تأويله والانتفاع به " [3] ورغم تفسيره للقضَّايا التّي تناولها الجاحظ أغفل بعضها وكان عليه تفسيرها، من ذلك عدم "تفسيره لاهتمام الجاحظ بالشَّكل مع أنَّه لم يكن من الشَّكليين في التَّطبيق"[4] إذ أنَّ إحسان عبَّاس تنبَّه لهذا ولكنَّه لم يفسِّره ، وكان عليه فيما يراه إبراهيم السَّعَّافين أيضاً أن"يفسِّر نظريَّة الجاحظ في المعاني المطروحة التّي قدَّم تفسيرات لها من أذكاها ما يتَّصل بقضيَّة

---

[1]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي، ص673.

[2]– محمَّد مندور، النَّقد المنهجي عند العرب، ص357.

[3]– إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي ، ص84.

[4]– إبراهيم السَّعَّافين، إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف، ص73.

السَّرقات"[1] كما أنَّ إحسان عبَّاس وقف "موقفاً يوحي بالتَّناقض وهو موقفه من الشَّكل فقد رأى أنَّ الشِّعر يستعصي على التَّرجمة وهو ما يتعلَّق بالشَّكل، ورأى أيضاً أنَّ بعض المعاني لا يمكن أن تسرق كوصف عنترة للذُّباب"[2].

هذه بعض الهفوات التّي تمكنّا من إيجادها في هذا المنجز النَّقدي مستعينين بدراسة- كما أشرنا- إبراهيم السَّعافين علمًا بأنَّ ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه.

[1]- إبراهيم السَّعَّافين، إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف، ص73.

[2]- المرجع نفسه، ص74.

خاتمة

خاتمة:

من خلال هذه الدِّراسة التّي أنجزناها حول ما كتبه "إحسان عبَّاس" في كتابه "تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب"، خرجنا من هذا البحث بعدَّة نتائج نرجو أن تكون معينة لدارس هذا الكتاب في مجال الأدب العربي ونقده، وخاصة في مثل هذه القضايا التّي تناولها إحسان عبَّاس في منجزه، وأهمّ هذه النَّتائج تتلخَّص في ما يلي:

- أنَّ إحسان عبَّاس من النُّقاد الّذين جمعوا في دراساتهم بين الثَّقافة العربية القديمة، والثَّقافة الغربيَّة، وهذا يتجلّى بوضوح في هذا المنجز، خاصَّة في استفادته من نظريات ومناهج النَّقد الغربي خاصة التَّاريخي منها والنَّفسي.
- أنَّ إحسان عبَّاس يرى أنَّ بداية التَّأسيس للنَّقد العربي، كان مع ظهور التآليف والكتب التّي ظهرت في القرن الثَّاني حيث خلقت هذه الأخيرة للنَّقد مجالًا صالحًا.
- أنَّ إحسان عبَّاس نجح إلى حدٍّ بعيد في محاولة إقامته كيانًا للنَّقد العربي، حيث مكَّنته ثقافته النَّقدية الواسعة من تتبُّع تطور النَّقد العربي القديم والوقوف على مفاصله الأساسية .
- يؤكِّد النَّظر المتَّعمِّق في هذا المنجز أنَّ النَّقد عند إحسان عبَّاس، يكشف عن أبعاد تجربة النَّاقد نفسه، والحكم على المنجزات النَّقدية القديمة في ضوء معرفته بتلك التَّجربة.
- أنَّ النَّقد الأدبي في نظر هذا النَّاقد كيانٌ حيٌ، خاضعٌ لائتلاف العناصر المؤثِّرة فيه، ومن هذه العناصر تلك الخلفيَّة النَّظرية والمعرفية التّي ينطلق منها النَّاقد.
- أنَّ إحسان عبَّاس لم يكن من أولئك النُّقاد الّذين يتعصَّبون لرأيٍ نقديٍ قديم، أو لرأيٍ محدث، ولكن يبحث عن الصَّواب فيأخذ به، ويتبنَّاه . وذلك عن طريق الاستقراء والتَّحليل العميق لهذه الآراء.
- إنَّ سعة اطِّلاع إحسان عبَّاس على الموروث النَّقدي عند العرب، جعلته يربط بين آراء النُّقاد وأطروحاتهم رغم اختلافهم في وجهات النَّظر وتباعد العصور.

وفي الختام، فنحن لا نزعم أنَّنا بلغنا الكمال في هذا البحث، وفي استقصاء جهود إحسان عبَّاس في قراءة الموروث النَّقدي القديم، إنَّما نقرُّ أنَّنا بذلنا جهدنا في إبراز تلك المعالم التّي ميزت منهجه في قراءة الموروث النَّقدي العرب، فإن أصبنا فمن اللَّه وإن أخطأنا فمن أنفسنا ونرجو من اللَّه العفو والغفران.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أولا :المصادر.

1. (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النَّجار)، المعجم الوسيط، دار الدَّعوة .

2. ابن منظور، لسان العرب دار صادر، بيروت، ط8، مج1، 2014.

3. أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان تح :عبد السَّلام محمّد هارون، ج 3، ط 2، مطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده بمصر،1965.

4. ابن بشر الآمدي، الموازنة بين الطَّائيين،

5. جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3.

6. عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح:أحمد عازف الزِّين، ط 1، دار المعارف للطِّباعة والنَّشر، سوسة، تونس، 1992.

7. علي بن محمد بن علي الزِّين الشَّريف الجرجاني، كتاب التَّعريفات، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،1983.

8. مجد الدِّين بن محمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مج 4، تح مجدى فتحي السَّيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

9. محمَّد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشِّعر، تح:عبَّاس عبد السَّاتر، دار الكتب العلمية بيروت،لبنان .

10. ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء، تح :أحمد محمَّد شاكر، دار التَّوفيقية للكتاب، ط1، 2010.

ثانيا :المراجع.

1. إبراهيم السَّعافين، إحسان عباس ناقد بلا ضفاف، الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2002.
2. إحسان عباس، إتجاهات الشعر المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، ط1، 1978.
3. إحسان عبَّاس،بدر شاكر السيَّاب دراسة في حياته وشعره، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط 4.
4. أحمد الشَّايب، أصول النَّقد الأدبي، ط10، 1994،مكتبة النَّهضة المصرية.
5. أحمد طه إبراهيم، تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرَّابع الهجري،مكتبة الفيصلية، د.ط.
6. أحمد مطلوب، معجم النَّقد العربي القديم، دار الشّؤون الثَّقافية العامة بغداد، 1989، ج2.
7. أماني حاتم بسيسو، دراسات إحسان عبَّاس وجهوده في النقد العربي، دار فضاءات، عمان، ط1، 2011 .
8. إنريكو أندرسون إمبرت، مناهج النَّقد الأدبي، ت:الطاهر أحمد مكي، مكتبة الأداب 1991 .
9. بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدة، ط3، 1993.
10. جابر عصفور، قراءة التُّراث النَّقدي، مؤسسة عيال للدِّراسات والنَّشر، ط1، 1991.
11. دومينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة:محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، 2008.
12. سامي يوسف أبو زيد، النَّقد العربي القديم، دار المسيرة، عمان، 2013، ط1.
13. عبد العزيز عتيق: تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب، دار النَّهضة العربية، بيروت، لبنان.
14. عثمان موافى، الخصومة بين القدماء والمحدثين في النَّقد العربي القديم (تاريخها وقضاياها) دار المعرفة الجامعية، 2000.
15. قراءة جديدة لتراثنا النَّقدي، النَّادي الأدبي الثَّقافي ، جدة، المملكة العربية السعودية، مج 1، د.ط .

16. مجدي توفيق، المعرفة التَّاريخية للنَّقد العربي القديم، ط 1، 2008، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنَّشر.

17. محمد أيت لعميم، المتنبي الرُّوح القلقة والتِّرحال الأبدي، ط1، مراكش، 2010.

18. محمد زغلول سلام، تاريخ النَّقد الأدبي والبلاغي حتى القرن الرَّابع الهجري، د.ط، منشأة المعارف بالإسكندرية .

19. محمَّد عبد المنعم خفاجة، الفكر النَّقدي والأدبي في القرن الرَّابع، رابطة الأدب الحديث.

20. محمَّد عزَّام، المصطلح النَّقدي في التُّراث الأدبي العربي، د.ط، دار الشُّروق العربي.

21. محمَّد مصطفى هدارة، مشكلة السَّرقات في النَّقد الأدبي دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958.

22. محمَّد مندور، النَّقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة ، 1996.

23. مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، في النَّقد الأدبي عند العرب، مكة للطباعة، 1998.

24. يوسف بكار، حوارات إحسان عباس المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004.

25. يوسف وغليسي، مناهج النَّقد الأدبي، جسور للنشر والتَّوزيع، الجزائر، ط3، 2010.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات:

مقدّمة	
الفصل الأوَّل: دراسة في نشأة وتطور تاريخ النَّقد الأدبي	
المبحث الأوَّل : نشأة تاريخ النَّقد وتطوره.....	
في تحديد مفهوم الأدب.....	
المبحث الثَّاني : التَّأليف في تاريخ النَّقد.....	
تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرَّابع لطه أحمد إبراهيم.....	
النَّقد المنهجي عند العرب لمحمَّد مندور.....	
تاريخ النَّقد الأدبي والبلاغة لمحمَّد زغلول سلام.....	
المبحث الثالث : أصناف ومناهج كتب تاريخ النَّقد..... .	
الفصل الثاني: قراءة أوَّليَّة في كتاب تاريخ النَّقد الأدبي لإحسان عبَّاس	
المبحث الأوَّل: حياة المؤلف وثقافته.....	
اسمه.....	
مولده.....	
تعليمه.....	
أساتذته.....	
الوظائف التي شغلها في حياته.....	
الجوائز التي حصل عليها.....	
السِّيرة البحثية والتَّأليفية لإحسان عبَّاس.....	
وفاته.....	
المبحث الثاني : قراءة في عتبات الكتاب.....	
العتبة الأولى " العنوان".....	
العتبة الثَّانية :المقدّمة.....	
عناصر مقدّمة إحسان عبَّاس في الكتاب.....	

العناوين البارزة في فهرس الكتاب.....	
العتبة الثَّالثة: الفهرس	
المبحث الثَّالث: محتويات الكتاب ومادَّته المعرفيَّة.....	
مادة النَّقد القديم.....	
المفاهيم النَّقدية.....	
أثر التَّأليف في النَّقد.....	
أثر الاعتزال في النَّقد العربيّ.....	
تطوُّر النَّقد عبر القرون	
المنعطفات الحاسمة في تاريخ النَّقد	
الإحساس بالتَّغير والتَّطور.....	
أثر الذَّاتية والموضوعية في المدوَّنة النَّقدية القديمة.....	
المبحث الرَّابع :منهج الكتاب وآليات التَّحليل.....	
الفصل الثالث: دراسة تقويمية للكتـــاب	
المبحث الأوَّل: أهمّ القضايا الكبرى في الكتاب.....	
القديم والمحدث.....	
الطَّبع والصَّنعة	
اللَّفظ والمعنى	
السَّرقات الشِّعرية.....	
عمود الشِّعر.....	
المبحث الثَّاني : مزايا الكتاب معرفيًّ ومنهجيًّا.	
الرُّؤية الشُّموليَّة للنَّقد القديم.....	
الرَّبط بين آراء النُّقاد واتجاهاتهم	
تفسير الملاحظات النَّقديَّة القديمة في ضوء الأفكار النَّقديَّة الغربيَّة.....	
المبحث الثَّالث: استدراكات على الكتاب.	
التَّقليل من شأن قضيَّة السَّرقات.....	

موقف يوحي بالتَّناقض من قضيَّة اللَّفظ والمعنى عند الجاحظ وعدم تفسيره لما جاء فيها....	
خاتمة.....	
قائمة المصادر والمراجع.....	